جامعة قاصدي مرباح - ورقلة-

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

مذكرة من متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

تخصص: اللسانيات النصية

من إعداد الطالبة:

خديجة دكمة

آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم

نوقشت بتاريخ: 2016/05/22

أمام اللجنة المكونة من السادة:

الأستاذ: إبراهيم طبشي.....دكتور...(جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-).....رئيساً

الأستاذ: أحمد التيجاني سي كبير...دكتور...(جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-)....مشرفاً.

الأستاذ: أحمد بلخضر.....دكتور...(جامعة قاصدي مرباح-ورقلة-).....مناقشاً

السنة الجامعية : 2015 \ 2016

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

﴿ ... مسرعا ذي الحي حاج ... إبراهيم ... ﴾

سورة البقرة: الآية 257

شكر وعرفان

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أحمد الله حمدا كثيرا طيبا مباركا على توفيقه لي على إتمام هذا العمل المتواضع، والذي نرجوه أن يفيد ولو بالقليل الباحثين من بعدنا.

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى أستاذي المشرف الدكتور " أحمد التجاني سي كبير"

كما أقدم كامل التقدير والاحترام لجميع أساتذة قسم اللغة والأدب العربي بجامعة قاصدي مرباح ورقلة الذين أعانوني وشجعوني ورعوني طوال سنين دراستي

خديجة دكمة

مقدمـــة

كانت وما زالت المحاججة اللسانية محط اهتمام الدارسين اللسانيين، لما تحتويه من أدوات وآليات تجعل من الخطاب وسيلة لإقناع المتلقي والضغط علية ليفهم فهما معينا، يدرك إدراكا مخصوصا.

وقد تجدد هذا الاهتمام لظهور ما يسمى بالبلاغة الجديدة. الأمر الذي شجع على ظهور كثير من البحوث والدراسات الأكاديمية في هذا المجال، وبخاصة اللساني منها.

ولعل هذا ما شجعني لطرق مثل هذه الموضوعات. انطلاقا مما يحتويه الحجاج على أدوات وآليات لغوية اقناعية، وكذا بما يحتويه الخطاب النثري من هذه الأدوات الاقناعية. ولكي تتجسد هذه الرغبة كان لزاما على أن اختار المدونة هذه الدراسة في شكلها النثري، فوقع اختياري على آخر خطبة للنبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع، وذلك بكونها جامعة شاملة لجوامع الكلم من جهة، وللفكر التشريعي من جهة أخرى. ولكي يستوي موضوع الدراسة على ركنيه الأساسين الحجاج الخطبة، كانت صياغته على النحو الآتي: آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع للنبي صلى الله عليه وسلم .

كما هو مبين في العنوان ومن خلال عناصره المكونة له، أنه يحمل إشكالية عامة مفادها : ماهي أهم الآليات اللغوية الحجاجية التي احتوتها خطبة حجة الوداع ؟

ومن هذه الإشكالية العامة يمكننا صوغ إشكاليات فرعية تكمن في الأسئلة الآتية:

- ماهو الحجاج وما هي أهم آلياته؟
- ما علاقة الحجاج بالخطاب النثري ؟
- ما هو الدور الحجاجي الذي أدته هذه الآليات اللغوية في الخطبة ؟

وقبل الشروع في معالجة هذه الإشكالات والإجابة عن هذه التساؤلات يمكننا وضع الفرضية الآتية: أن خطبة حجة الوداع تحتوي على مجموعة كثيرة من آليات المحاججة

اللغوية لأنها كما سبق القول تضم مجموعة من التشريعات التي تستوجب إقامة الحجة والدليل على صحتها.

وللوصول إلى حل ما سبق تطلب منا وضع خطة مفصلية للموضوع، تمثلت في ما يلي:

مدخل يلي مقدمة تناولنا فيه أهم المفاهيم الأساسية التي وردت في عنوان الموضوع.

تلاه فصل أول كان موضوعه تقنيات الحجاج بصفة عامة، قسم إلى ثلاثة مباحث هي: الحجاج بين الجدل والخطابة، مسلمات الحجاج وضوابطه، وكذا تقنيات الحجاج.

وجاء بعده الفصل الثاني تحت عنوان آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع.

وأخيرا خاتمة عرضت لأهم النتائج والخلاصات المتوصل إليها من خلال هذا البحث.

أمَّا المنهج المعتمد والذي فرضته طبيعة الدراسة فهو المنهج التداولي والذي عمدت من خلاله تسليط الضوء على كل ما اعتمد عليه نص الخطبة، مع الاستعانة بالوصف كأداة للتحليل.

وقد اعتمدت في انجاز بحثي هذا على مجموعة من المصادر والمراجع من أهمها:

كتاب البيان والتبيين للجاحظ والذي نقلت منه مدونة الدراسة، أيضا مجموعة من الكتب التي تناولت موضوع الحجاج منها: الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية وفي نظرية الحجاج لعبد الله صولة. كذلك كتاب استراتيجيات الخطاب لعبد الهادي بن ظافر الشهري، وكتاب اللسان والميزان (التكوثر العقلي) لطه عبد الرحمن. إضافة إلى دراسات سابقة في موضوع الحجاج نذكر أهمها: مذكرة ماجستير بعنوان حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث لـــ خديجة بوخشة، جامعة وهران.

ومن المعلوم أنه لا عمل إلا ويتطلب من صاحبه تجاوز الصعوبات وتخطي ما يعترضه بحثه نذكر منها قلة الدراسات التي خصت موضوع الخطابة النبوية بالدراسة خاصة من الوجهة الحجاجية، إضافة إلى طبيعة الخطاب النبوي وما يفترضه من خصوصية.

ويعود الفضل الكبير في إنجاز هذا البحث إلى من اعتمدت عليه فكان سندي ربي منير دربي. ثم إلى أستاذي الفاضل الدكتور أحمد التجاني سي كبير الذي يسر لي ما عَسُرَ وأُشكِل بملاحظاته وتوجيهاته القيمة، لقد وجدت فيه المحفز والموجه. فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان وادعوا الله أن يبقيه ذخرا لطلبة العلم ولأهله، فله كل الامتنان والتقدير.

ورقلة في: 2016/04/24.

خديجة دكمة

المدخل:

مفاهيم ومصطلحات

1. الحجـــــاج

2. الخطبـــــة

إذا كان الاهتمام بالحجاج قديما قدم التراث اليوناني، فهو اليوم موضوع دراسات كثيرة في حقل الفلسفة واللغة على حد سواء، ولا يخفى أن النظر في الحجاج والبحث في أصنافه لا يتأتى إلا بالرجوع إلى أصوله اللغوية والفلسفية في التراث الإنساني، لذلك عمدنا أولا على جرد دلالته اللغوية من المعاجم العربية والأجنبية، ومن ثم الوقوف عند مصنفات أساسية في مجال التنظير لهذا الفن من القول، لرصد التغيرات التي لحقت بالحجاج أولا كمفهوم، ثانيا كمنهج في التواصل وبلوغ المعرفة الصحيحة. يلي ذلك الإشارة إلى تعريف الخطبة وأهميتها على وجه العموم، ثم الانتقال إلى مقاربة الخطبة النبوية وأهم ما امتازت به في موضوعاتها.

أولا: تعريف الحجاج: ورد في لسان العرب:<< يقال حاجَجْتُه أُحاجه حجاجاً ومُحاجَّة حتى حجَجْتُه أَي غلبته بالحُجَجِ التي أدليت بها ...والحُجَّة :البرهان؛ وقيل: الحُجَّة ما دُوفع به الخصم، وقال الأزهري :الحُجَّة الوجه الذي يكون به الظفر عند الخصومة ... وجمع الحُجَّة: حجَجٌ وحجاج، وحاجَّه مُحاجَّةً وحجاجاً: نازعه الحُجَّة... واحتجَّ بالشيء: اتخذه حجَّة، قال الأزهري :إنما سميت حجَّةً لأنها تُحَجُّ أي تُقصد لأن القصد لها وإليها...والحُجة: الدليل والبرهان>>[1].

أما ابن فارس في مقاييس اللغة فيعرف الحجاج على النحو الآتي: << يقال حاججت فلانا فحججته أيْ غلبته بالحجّة، وذلك الظفر يكون عند الخصومة، والجمع: حُجَج، والمصدر الحجاج >>[2]. يظهر لنا من خلال التعاريف السابقة أن الحجاج يظهر أثناء المخاصمة بين اثنين فأكثر حيث تعتبر الحجة الوسيلة التي يستعملها المتكلم للتغلب على خصمه.

1- ابن منظور: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، مج 2، مادة (ح ج ج)، ص228.

2- ابن فارس: مقاييس اللغة، دار الجبل، بيروت، مج 2، ط 1، ص30.

كذلك نجد الزمخشري تناول لفظ الحجاج في كتابه " أساس البلاغة" حيث يقول: <<حجج: احتج على خصمه بحجة شهبا، وبحجج شهب وحاج خصمه فحجه، وفلان خصمه محجوج وكانت بينهما محاجَّة وملاجَّةٌ >>[1]. فالزمخشري خصر الحجاج في المخاصمة والمغالبة قصد الظَّفر. والحجاج عند القدامى يحمل طابع المنازعة والخصومة نظرا لما يحدث بين شخصين من محاورة.

وهذا أيضا ما نجده في مصطلح الحجاج في اللغة اللاتينية (Argumentation) التي تدل على معان متقاربة أبرزها حسب قاموس "Le petit Robert" كونه (مجموعة من الحجج التي تستهدف تحقيق نتيجة واحدة)[2]. أي أن الحجاج هو تقديم الحجج والأدلة المؤدية إلى نتيجة معينة.

أما في الاصطلاح فتعود الجذور الأولى للحجاج لأبي الوليد الباجي في كتابه " المنهاج في ترتيب الحجاج" حيث يقول في مقدمة كتابه: << وهذا العلم من أرفع العلوم قدرا وأعضمها شأنا، لأنه السبيل إلى معرفة الاستدلال وتمييز الحق من المحال ولولا تصحيح الوضع في الجدل لما قامت حُجَّةٌ ولا اتَّضحت مَحَجّة ولا عُلم الصحيح من السقيم ولا المعُوج من المستقيم >>[3]. أي أن الحجاج علم له أركانه وطرائقه المميزة له والمحددة لماهيته، وغايته معرفة الحقيقة والتمييز بين الصحيح والمحال.

أما حديثا فتذهب أغلب التعاريف الاصطلاحية للحجاج على أنّه عبارة عن علاقة تخاطبية بين متكلم ومستمع حول قضية ما، متكلم يدعم قوله بالحجج والبراهين لإقناع الغير والمستمع له حق الاعتراض عليه إن لم يقتنع. وفي ذلك يقول طه عبد الرحمن أن

1- الزمخشري: أساس البلاغة، دار صادر .بيروت، ص113.

2 -Le petit Robert : Dictionnaire de la langue Français ،1er rédaction ،Paris. 1990 ، P99.

3- أبو الوليد الباجي: المنهاج في ترتيب الحجاج ، تح: عبد المجيد التركي، ط2، دار المغرب الإسلامي .المغرب، 1987م، ص8.

الحجاج: << كل منطوق به موجه إلى الغير لإفهامه دعوى مخصوصة يحق له الاعتراض
عليها>>[1]. فالحجاج في نظره هو الآلية التي يستعمل فيها المتكلم اللغة ويتجسد من خلالها الإقناع. كذلك في موضع آخر يقول: << لا خطاب بغير حجاج ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المدعى ولا مخاطب من غير أن تكون له وظيفة المعترض >>[2]. يجعل طه عبد الرحمن العلاقة التخاطبية أصلا في كل خطاب، وأن عملية الفهم والاستجابة لا تتحقق إلا إذا كان هناك اعتراض. فكل خطاب من ورائه هدف معين وهو الاستمالة والتأثير في متلقيه.

أما حديثا ينحدر توجّه الحجاجيات اللسانية من أصلين معرفيين أحدهما مثلته النزعة التداولية في اللغويات الحديثة المعاصرة، والثاني مثلته أعمال الخطابة الجديدة مع رائديها برلمان (Perelman) وتيتكا (Tyteca) فلقد عَّرفا الحجاج في كتابهما " مصنف في الحجاج" بقولهما: << موضوع نظرية الحجاج هو درس تقنيات الخطاب التي من شأنها أن تؤدي بالأذهان إلى التسليم بما يعرض عليها من أطروحات، أو تزيد في درجة ذلك التسليم >>[3]. وفي موضع آخر تحدَّثا عن غاية من الحجاج وهي<< استمالة العقول _ المتلقي_ لما يعرض عليه وتجعل العقول تذعن لما يطرح عليها، وان يزيد في درجة إذعانها باعتماد على وسائل التأثير في عواطفه وخيالاته وإقناعه >>[4]. فأنجع الحجاج على حد قولهما "ما جعل حدة الإذعان تزيد وتقوى درجتها لدى المتلقي".

أما عند تولمين فقد لخص مفهوم الحجاج من خلال رسوم حجاجية صاغها في كتابه سنة 1958م بعنوان " The uses of argument " والذي يهدف إلى دراسة الأدوات الحجاجية في الاستخدام اللغوي. من بينها:

1- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، التكوثر العقلي. المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ،المغرب، ص226.
2- المرجع نفسه: ص 226.
3- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع. تونس، ط 1، 2011،ص 13.
4- المرجع نفسه ، ص 13.

- الحجاج ذو ثلاثة أركان أساسية هي المعطى(م) والنتيجة(ن) والضمان(ض). ويصاغ على النحو التالي:

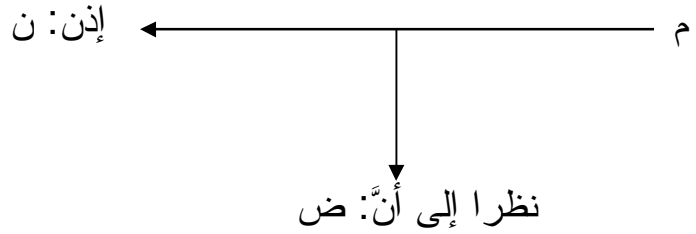

- يمثل حجاجا أدق من الأول حيث يضاف إليه عنصران هما الموجه (ج)، والاستثناء (س).
- يمثل حجاجا أكثر دقة بإدخال عنصر الأساس(أ) الذي يبنى عليه الضمان(ض).[1]

أهم الأركان في هذه الرسوم الحجاجية حسب تولمين هي المعطى والنتيجة والضمان. والفرق بين المعطى والضمان أن الأول يكون مصرَّحا(Explicite) في حين يكون الثاني ضمنيا(Implicite).

أما عند **أزوالد ديكرو (Oswald Ducrot) وجون كلودا انسكومبر (jean-claude. Anscombre):** فقد عرضا مفهوم الحجاج وآلياته من خلال كتابهما "L'argumentation dans la langue" الحجاج في اللغة، في 1983. حيث يرى ديكرو: "أن كل قول يحتوي على فعل إقناعي ، فأن تتكلم يعني أنك تحاجج (كل قول= حجاج)، ولا وجود لكلام دون شحنة حجاجية، فالحجاج عنده هو علاقة دلالية تربط بين الأقوال في الخطاب تنتج عن عمل المحاججة"[2] . ففي ورأيه أن كل قول يحمل جانبا حجاجيا فهو يهدف من ورائه إلى ممارسة فعل إقناعي على المتلقي.

1- المرجع السابق: ص 24.

2- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج ص 14- 16.

من خلال ما تم عرضه يمكننا القول بأن الحجاج هو طريقة عرض المرسل الحجج والأدلة داخل الخطاب يهدف من خلالها الى استمالة عقل المتلقي وإقناعه بمضمون خطابه.

ثانياً- تعريف الخطبة وأهميتها:

الخطبة في تعريفها اللغوي آتية من المادة المعجمية(خَ / طَ/ ب)، و<< الخَطْب : الشأن أو الأمر، صَغُر أو عَظُم؛ وقيل هو سبب الأمر .يقال :ما خطبك؟ أي ما أمرك ... وخَطَب المرأة يَخْطُبها خَطْباً وخِطْبة، بالكسر...، وخَطَب الخاطب على المِنْبَر، واخْتَطَب يَخْطُبُ خَطابَةً، واسم الكلام :الخُطْبة ... وذهب أبو إسحاق إلى أن الخُطبة عند العرب : الكلام المنثور المسجَّع، ونحوه، والخُطبة، مثل الرِّسالةِ، التي لها أول وآخر>>[1].

جاء في تهذيب اللغة: << الخطبة مصدر الخطيب، وهو يخطب المرأة ويخطِبُها خِطبة وخِطِّيبى ... قلت: والذي قال الليث أن الخطبة مصدر الخطيب لا يجوز إلا على وجه واحد، وهو أن الخُطبة اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، فيوضع موضع المصدر، والعرب تقول: فلانٌ خِطْبُ فلانة، إذا كان يخطبها>>[2].

وجاء في المحيط: <<...وخَطَبَ الخاطب على المِنْبَر خَطابة بالفتح، وخُطبة بالضم، وذلك الكلام خُطبة أيضًا، أو هي الكلام المنثور المُسَجَّع ونحوه، ورجل خَطِيبٌ حسن الخُطبة بالضم[3]>>.

1- ابن منظور: لسان العرب ، مج 1، مادة (خ ط ب)، ص 260- 261.

2- الأزهري: تهذيب اللغة، ت يوسف الشيخ محمد ، المكتبة العصرية ، الدار النموذجية، بيـــروت ،ط 5، 1999م، ج 7، مادة (خ ط ب)، ص246.

3 - الفيروز آبادي : قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع ، ج1 ، مادة (خ ط ب)، ص 65.

للخطبة في مفهومها اللغوي معاني متعددة، نلحظ أغلبها اقترانها بالكلام الملقى على المنبر. وهو كلام منثور مسجوع به بداية ونهاية يلقيه الخطيب بشكل نثري سجعي.

أما في تعريفها الاصطلاحي: جاء في المعجم الوسيط: أن الخطبة << الكلام المنثور يخاطب به متكلمٌ فصيحٌ جَمعاً من الناس لإقناعهم [1]>>.

ويذكر محمد طاهر درويش أن الخطابة:<< فن من فنون القول، يخاطب به الجمهور، ويتجه إلى الإقناع والاستمالة عن طريق السمع والبصر معا>>. ويعرفها أيضا عبد الجليل عبده شلبي بأنها:<< فن مخاطبة الجماهير بطريقة إلقائية تشتمل على الإقناع والاستمالة[2]>> من خلال التعاريف نخلص أن الخطابة فن نثري موجه إلى جمهور المخاطبين يهدف إلى إقناعهم واستمالتهم.

وعليه فإن الخطبة هي نوع من الحجاج بمفهومه العام حجاجي. أو هي نص لغوي يستعمل الحجاج بهدف الإقناع.

أما أهمية الخُطبة عند العرب فيرى شوقي ضيف أن مكانة الخطيب في الجاهلية تتفوق على مكانة الشاعر، وأن ذلك يرجع إلى عدة أسباب متشابكة منها أن الخطابة كانت من لوازم سادتهم الذين يتكلمون باسمهم في المواسم والمحافل العظام ...ويضاف إلى هذا السبب في تفوق الخطيب على الشاعر في الجاهلية اتساع وظيفته؛ إذ كان يفاخر وينافر عن قومه فيشترك بذلك مع الشاعر، كما يشترك معه في الحض على القتال، ثم ينفرد بمواقف خاصة كالوفادة على الملوك وكالنصح والإرشاد[3]. أما بعد ظهور الإسلام فقد اتخذها الرسول صلى الله عليه وسلم أداة في الدعوة إلى دين الله تعالى بالحجة والموعظة الحسنة.

1- إبراهيم مصطفى : المعجم الوسيط، دار الدعوى اسطنبول، ط2، 1986، ج 1. مادة (خ ط ب). ص103.

2- نقلا عن : عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية ، عالم الكتب الحديث ، اربد ، الأردن ، ط1، 2012، ص7.

3- ينظر: شوقي ضيف : الفن ومذاهبه في النثر العربي, القاهرة دار المعارف, ط 10 ,1983م. ص28، 29.

وبناء على كل ذلك بأن أهمية الخطبة اقترنت بأهمية ما تطرقه من موضوعات مهمة لها علاقة بحياة الناس وانتظامها. يقول أبو هلال العسكري في كتابه الصناعتين: (ومما يُعرف أيضاً من الخطابة والكتابة أنهما مختصتان بأمر الدين والسلطان وعليهما مدار الدار وليس للشعر بهما اختصاص ... والخطابة لها الحظ الأوفر من أمر الدين ..لأن الخطبة شطر الصلاة التي هي عماد الدين، في الأعياد والجمعات والجماعات، وتشتمل على ذكر المواعظ التي يجب أن يتعهد بها الإمام رعيته لئلا تدرس من قلوبهم آثار ما أنزل الله عز وجل من ذلك في كتابه إلى غير ذلك من منابع الخطب)[1].

1 أبو هلال العسكري: الصناعتين الكتابة والشعر، تح مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية. بيروت، ط2، 1989، ص28-29.

الفصل الأول:

الحجاج وتقنياته

1. الحجاج بين الخطابة الجدل
2. مسلمات الحجاج ضوابطه
3. تقنيات الحجاج

المبحث الأول: الحجاج بين الجدل والخطابة:

1- الحجاج علاقته بالجدل:

الحجاج لغة من حاج. قال ابن منظور(ت 711ه/ 1311م): " حاججته أحاجه حجاجا ومحاجة حتى حججته أي غلبته بالحجج التي أدليت بها[...] وحاجه محاجة وحجاجا نازعه الحجة[...] والحجة الدليل والبرهان "[1]. أي أن الحجاج النزاع والخصام بواسطة الأدلة .أما الجدل عنده فحده: " مقابلة الحجة بالحجة "[2]. فعلى هذا يكون الحجاج عند ابن منظور مرادفا للجدل والخصام لكونه تقابلا بين الحجة والحجة.

لكن أشار محمد الطاهر ابن عاشور (ت 1393ه/1973) لوجود فرق دقيق بين معنيي اللفظين في استخدام القران الكريم إياهما. فقد قال في شأن "حاج" في تفسير قوله تعالى:{أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ}[3]، معنى حاج خاصم، وهو فعل جاء على زنة المفاعلة ولا يعرف لحاج في الاستعمال فعل مجرد دال على وقوع الخصام ولا تعرف المادة التي اشتق منها.ومن العجيب أن الحجة في كلام العرب البرهان المصدق للدعوى، مع أن حاج لا يستعمل غالبا إلا في معنى المخاصمة[...] وان الأغلب انه يفيد الخصام بالباطل"[4]. وقال في شأن الجدل في تفسير قوله تعالى: {وَلاَ تُجَادِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنْفُسَهُمْ}[5]:" والمجادلة مفاعلة من الجدل وهو القدرة على الخصام والحجة فيه، وهي منازعة بالقول لإقناع الغير

1- ابن منظور: مادة (ح ج ج).

2-المرجع نفسه، مادة (ج د ل).

3- سورة البقرة: الآية 258/2.

4-ابن عاشور:التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان، ج 3، ص 31-32.

5- سورة النساء: 107/4.

برأيك" [1]. والجامع بين معنيي اللفظين هو المخاصمة لكنها في الحجاج قائمة على الباطل عادة كما أشار الى ذلك ابن عاشور معتمدا مدونة القران الكريم، في حين أن الجدل منه ما هو حق ومنه ما هو باطل كما يفهم من شاهدي القران الكريم المذكورين [2].

وفي الحديث الشريف: " ما أوتي الجدل قوم إلا ضلوا " الجدل مقابلة الحجة بالحجة، والمراد به في الحديث الجدل على الباطل، وطلب المغالبة به لإظهار الحق فان ذلك محمود لقوله تعالى: {وَلاَ تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ}[3] . وفي تراثنا العربي وجد من يماهي في استعمال لفظتي الحجاج والجدل على أنهما جنس واحد.من ذلك أن أبا الوليد الباجي سمى كتابا له ينتمي إلى علم أصول الفقه ب: " المنهاج في ترتيب الحجاج " مستخدما في العنوان لفظة الحجاج ، لكنه في المقدمة ينعته بكونه " كتابا في الجدل ". يقول الباجي في مقدمة كتابه: " فاني لما رأيت بعض أهل عصرنا عن سبيل المناظرة ناكبين وعن سنن المجادلة عادلين [...] أزمعتُ على أن أجمع كتابا في الجدل[...] ". وحدّ الجدل عنده وهو الأصولي: " تردد الكلام بين اثنين قصد كل واحد منهما تصحيح قوله وإبطال قول صاحبه "[4]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ترادف الحجاج والجدل عنده.

وفي هذا الصدد يرى ابن خلدون(أن الجدل معرفة آداب المناظرة التي تجري بين المذاهب الفقهية وغيرهم، فانه لما كان باب الناظرة في الرد والقول متسعا، وكل واحد من المتناظرين في الاسترسال والجواب يرسل عنانه في الاحتجاج، ومنه ما يكون صوابا ومنه ما يكون خطأ، فاحتاج الأئمة أن يضعوا آدابا وأحكاما يقف المتناظران عند

1-ابن عاشور: التحرير والتنوير، ج5، ص194.

2-عبد الله صولة: الحجاج في القران الكريم، ص 11.

3- سورة العنكبوت: الآية 46.

4- عبد الله صوله: الحجاج في القران الكريم، ص12.

حدودها)[1] فمن معاني الجدل الخصومة وله أحكام يقف المجادل عند حدودها في قبول الحجج أو دحضها. والحجاج لا ينفصل عن الجدل لان الدفاع عن أطروحة أو نتيجة يقابله دفاع عن أطروحات أو نتائج أخرى لان الدخول في الجدل لا يعني الاتفاق فقط، وإنما يعني أيضا أن المجادل يمتلك حججا مضادة "[2]. ومن هنا تتضح علاقة الحجاج بالجدل، فالحجاج أوسع من الجدل.

2- الحجاج علاقته بالخطابة:

الخطابة عند **أرسطو** صناعة مدارها إنتاج قول تبني به الإقناع في مجال المحتمل والمسائل الخلافية القابلة للنقاش. لقد قسم أرسطو التصديقات إلى نوعين، الغير صناعية كالشهود والعذاب، وصناعية ما يعتمد على الحيل وعلى الذات في صياغة الحجج من أجل التأثير في السامع، فهذا الجانب هو تأثيري بحت موجه لاستمالة الأنفس، وأما السابق فهو الجانب العقلي الذي جعله **أرسطو** في صدارة اهتمامه، فالعقل لا بد له من تصديقات(حجج) مقنعة أما النفس فتجذبها الحجج المؤثرة، ثم صنف أرسطو التصديقات الصناعية إلى ثلاثة أنواع يقول **أرسطو**:(فأما التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنها أنواع ثلاثة: فمنها ما يكون كيفية المتكلم وسمته، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، منها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت)[3]. فعناصر بناء الخطابة عند **أرسطو** ثلاثة وسائل: الإقناع، الأسلوب، وترتيب أجزاء القول. كما نجد أيضا **أرسطو** في تعريفه للخطابة يجعلها مرادفة للجدل في قوله أن الخطابة هي: (الكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان) كما لمح أن الخطابة والجدل متلازمان في قوله: (إن

1- خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه في اللسانيات التداولية، إشراف: بن عيسى عبد الحليم، جامعة وهران، 2013 /2014، ص 36.

2- المرجع نفسه: ص 36.

3- أرسطو طاليس: الخطابة، الترجمة العربية القيمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان،1979، ص9-10.

الخطابة فرع من الجدل، وأيضا فرع من علم الأخلاق ويمكن أن يدعي يحق علم السياسة)[1].

أما الخطابة في تراثنا العربي فيؤرخ لها منظِّرُوا البلاغة منذ العصر الجاهلي، و تأتي في المرتبة الثانية بعد الشعر في اهتمام العرب، وتتميز الخطابة بشروط ذاتية وأخرى موضوعية من أجل الوصول إلى مقاصدها، ونذكر منها[2]:(جهارة الصوت، وعدم المبالغة في التلحين والإنشاء، ولا بد أن يكون الخطيب مقداما لحظة مواجهة الجمهور، وينبغي له ألا ينقاد لقوة البديهة وقت الارتجال، ولا يغره انقياد القول له في بعض الأحيان، فإعمال الفكر والروية أمر مهم. بيد انه ينبغي أن يكون إعمالا غير متكلف وكأنه من نتاج البديهية). والخطيب إذ لم تتوفر فيه وفي أدائه هذه الشروط لن يدرك الغاية المرجوة، ونجاحه متوقف أيضا على فصاحته وأسلوبه ومهارته في التعبير عن الموضوع ومدى معرفته بطبيعة مخاطبيه، ليتمكن من إقناعهم بما يريد.

ولقد ازداد تداول الخطابة في عصر النبي "صلى الله عليه وسلم" والخلفاء الراشدين، وذلك لملائمتها طبيعة الدعوة الإسلامية، حيث تناولت موضوعات جديدة كالدعوة إلى التوحيد وترك عبادة الأصنام، وهذا من طبيعته يحتاج إلى أسلوب في الدعوة يتسم بالحكمة والحجج القوية للتدليل على وحدانية الله و ربوبيته.

أما في العصر الحديث فيرى كل من **بيرلمان(Perlman) وتيتكاه(Tyteca)** أن الحجاج اقرب منها إلى الجدل فـــ :(حد الجدل انه القياس المؤلف من مقدمات مشهورة بين الناس لا يختلفون فيها كقولنا: العدل حسن والظلم قبيح، ومن أسباب الاختلاف بين الجدل والخطابة، أن الجدل مداره على النظر المحض، في حين أن الخطابة همها الأساسي العمل الذي يمارسه الحطاب على الجمهور، ومن أسباب ذلك أيضا أن الجدل في نظر المؤلفين بتعلق بالمؤلفين يتعلق بالآراء في هدم خصوصيتها فهي آراء غير شخصية،

1- المرجع السابق، ص 29-30.

1 - بن أحمد عالم فايزة: علاقة الحجاج بالخطابة والجدل، جامعة مستغانم، 14 أفريل 2013

في حين أن الخطابة مخصوصة دائما، إذ لا خطابة بدون مقام معين و جمهور معين يعمل الخطاب على إقناعه)[1]. وهذا يعني أن الجدل ينطلق مما هو متفق عليه بين الناس أو مسلمات، بينما الخطابة تتطلب مقاما وجمهورا معينين، وتطرح الفكرة القابلة للنقاش، وهذه الأمور التي تتطلبها الخطابة هي نفسها التي يتطلبها الحجاج. ومن هنا كان الحجاج أقرب إلى الخطابة منه إلى الجدل. كما يرى كلا المؤلفين أنه على الرغم من قرب الخطابة من الحجاج إلا انه يختلف عنها من ناحيتين: الأولى نوع الجمهور، والثانية نوع الخطاب. فلئن كان جمهور الخطابة حاضرا، فإن جمهور الحجاج يمكن أن يكون حاضرا أو غائبا. كما يمكن أن يكون منشأ الحجاج بين شخصين اثنين أو بين المرء ونفسه. إما من جهة نوع الخطاب فان الخطاب الحجاجي يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا[2].

إن الحجاج أوسع من الجدل فكل جدل حجاج وليس كل حجاج جدلا. فهو القاسم المشترك بين الجدل والخطابة، لان (الجدل والخطابة قوتان لإنتاج الحجج)[3] كما يقول أرسطو. فالمسلمات الجدلية والقياس والبراهين تعد للحجاج أدلة وحجج يمكن للمتكلم أن يوظفها في حجاجه.أيضا يجمع الحجاج بين التأثير النظري والتأثير السلوكي العملي، فهو يختلف عن الخطابة والجدل، انه (يأخذ من الجدل التمشي والتأثير الذهني الذي يقود إلى التأثير في المتلقي وإذعانه،فمجاله العقل والإدراك [...] والخطابة تتجلى في توجيه السلوك والإعداد له والحض عليه)[4].بمعنى أن الحجاج يستمد من الجدل التأثير العقلي ويأخذ من الخطابة تأثير في السلوك ودفع للعمل.

1- عبد الله صولة: الحجاج أطره ومنطلقاته ضمن كتاب حمادي صمود،أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، ص 306.

2- المرجع نفسه، ص 307.

3- عبد الله صولة: الحجاج في القران الكريم، ص17.

4- خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث،ص38.

المبحث الثاني: مسلمات الحجاج وضوابطه

أولا: مسلمات الحجاج:

يبنى الحجاج أساسا من مقدمات يضعها المحاجج في خطابه لإقناع الجمهور، وهذه المقدمات بمثابة نقطة انطلاق الحجاج. وقد حددها كل من **بيرلمان وتيتكا** في:

1ــ الوقائع Les faits: " وتمثل ما هو مشترك بين عدة أشخاص أو بين جميع الناس، ولا تكون عرضة للدحض أو الشك. وتنقسم الوقائع إلى وقائع مشاهدة معاينة من ناحية ووقائع مفترضة من ناحية أخرى، وهذان النوعان من الوقائع قد يفقدان لسبب أو لآخر طابعهما كـــ (وقائع) بمعنى حقائق. ولكن من حيث هما وقائع، فإنهما يكونان متطابقين مع بنى الوقائع التي يسلم بها الجمهور"[1]. فالمتلقي يسلم بالوقائع لكونه يفرض نفسه على الجميع، كما أن الحقائق أما تكون نظريات علمية أو حقائق دينية تمثل سلطة معينة على الفرد.

2ــ الافتراضات les présomptions : درجة التسليم بالافتراضات لا تكون قوية لأنها:(تحدد بالقياس العادي le normal أو المحتمل le vraisenbable، لكن هذا العادي أو المحتمل يتغيران بتغير الحالات)[2]، أي أن الافتراضات هي احتمالات توفر للمتكلم مبررات كافية لعدم اعتقاد المعقول، لأنها ترتبط بما يحدث عادة. لذلك تركز على الافتراض المسبق.

3ــ القيمLes valeurs: " يقوم الحجاج بكل ضروبه على القيم، فهي التي يعول عليها في جعل السامع يذعن لما يطرح عليه من آراء. والقيم نوعان: مجردة كالعدل والحق، ومحسوسة كالوطن"[3].

1- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص24.

2-المرجع نفسه، ص25.

3- المرجع نفسه: ص 26.

4ـ الهرميات Les hiérarchies: تخضع الحجج إلى مراتب متدرجة هرمية، (فالقيم وإن كانت تسلم بها جماهير عدة فان درجة تسليمها بها تكون مختلفة من جمهور لأخر. وهو ما يعني أن القيم درجات وليست كلها درجة واحدة. وما يميز كل جمهور ليس القيم التي يسلم بها بقدر ما تميزه طريقة ترتيبه إياها)[1]. والمتكلم يبني حجاجه منطلقا من قيم هرمية تخضع لتراتبية معينة حسب الأفضلية والأعلى درجة.

5ـ المواضع Les lieus:" تعد مسلمات اعم من القيم وهرميتها، لأنها حجج توظف المشترك العام، وهي شكل من العلاقة (بين المنطق والواقع، تؤسس بفضل بين القضية العامة والقضايا المشتركة)[2]. وتنقسم المواضع إلى مشتركة ومواضع خاصة، الأولى يمكن تطبيقها على حد سواء على أي علم من العلوم وهي لا تأخذ من أي علم. والمواضع الخاصة إما هي خاصة بعلم معين، وإما بنوع خطابي معرف. إلى جانب هذه الأقسام تحمل المواضع كذلك أنواع منها: مواضع الكم مثل: ماهو أبقى أفضل مما هو اقل بقاء، والكل خير من الجزء.والنوع الثاني هو مواضع الكيف مثل: الحق واحد مهما كثر خصومه. ومواضع الوجود (les lieus d'existant) والتي تقول بفضل الموجود على المحتمل" [3].

ثانيا: ضوابط الحجاج

هناك عدة ضوابط حجاجية التي يفترض للمرسل أن يلتزم بها، ومن هذه الضوابط :

1- أن يكون الحجاج ضمن إطار الثوابت مثل الثوابت الدينية والعرفية. فليس كل شيء قابل للنقاش أو الحجاج. فهناك كثير من المسلمات يجب احترامها.

2- أن تكون دلالة الألفاظ محددة، والمرجع الذي يحيل عليه الخطاب محدد.

1-عبد الله صولة: في نظرية الحجاج، ص26.

2- خديجة بوخشة: حجاجية الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، ص32.

3- المرجع نفسه: ص32.

3- ألاَّ يقع المرسل في التناقض بقوله أو بفعله كمن يدعي أنّه عضو في لجنة الدفاع عن حقوق الإنسان ثم يستعمل في ادّعائه حججا واهية أو أن يسيء الأدب مع المرسل إليه، لأنه بذلك يناقض نفسه في اللحظة التي يتلفظ فيها بخاطبه[1].

4- موافقة الحجاج لما يقبله العقل، وإلا بدا زيف الخطاب ووهن الحجة.

5- توفر المعارف المشتركة بين طرفي الخطاب، مما يسوغ قبول المرسل إليه لحجج المرسل وإمكانية مناقشتها أو تفنيدها، وإلا انقطع الحجاج بينهما وتوقفت عملية الفهم والإفهام، بل الإقناع.

6- مناسبة الخطاب الحجاجي للسياق العام، لأنه هو الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها. فقد يكون الحجاج صحيحا من الناحية النظرية ولكنه غير مناسب للسياق إذ يمثل مهربا للمرسل من المسؤولية.

7- أن يأخذ المرسل في اعتباره تكوين صورة عن المرسل اليه اقرب ما تكون إلى الواقع قدر الإمكان" لان بناء الحجاج مرتبط أساسا بتنوع المعنيين به، فهم المقصودون بفحواه المطالبون بانجاز محمولاته المشاركون في صياغته وإخراجه" [2].

8- ضرورة خلو الحجاج من الإبهام والمغالطة والابتعاد عنهما.

9- امتلاك المرسل لثقافة واسعة، خصوصا ما يتعلق بالمجال الذي يدور ضمنه الحجاج.

إذن فتمسك المرسل بهذه الضوابط يمكنه من تحقيق هدفه من الحجاج من المرسل إليه وهو "الإقناع"، ويتم هذا الإقناع بتوسل آليات متعددة بتفاوت إدراكها والوعي بها من قبل المخاطبين.

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص466.

2 - محمد السالم محمد الأمين: مفهوم الحجاج عند لبرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة، ص 64.

المبحث الثالث: تقنيات الحجاج

يعتمد الخطاب في الحجاج على تقنيات مخصوصة، توظف حسب استعمال المرسل لها الذي يختار حججه وطريقة بنائها بما يتناسب مع السياق الذي يخص خطابه(مهما كان نوع الخطاب). ويقسم **بيرلمان وتيتكاه** تقنيات الحجاج اللغوية إلى نوعين: تقنيات وطرق الوصل وتقنيات وطرق الفصل.

أولا: تقنيات الوصل Procédés de liaison:

وهي الطرائق التي تقرب بين العناصر المتباعدة بدءا وفي الأصل، وتتيح إقامة ضرب من التضامن بينها لغاية هيكلتها او لغاية تقويم احد هذه العناصر بواسطة الآخر تقويما ايجابيا أو سلبيا[1]. ومن هذه التقنيات:

1- طريقة المحاجة شبه المنطقية:

تستمد هذه الحجج قوتها الاقناعية من مشابهتها للطرائق الشكلية والمنطقية والرياضية في البرهنة. وتعتمد هذه الحجج البنى المنطقية مثل التناقض والتماثل التام أو الجزئي ومثل قانون التعدية، كما تعتمد أيضا العلاقات الرياضية مثل علاقة الجزء بالكل وعلاقة الأصغر بالأكبر وعلاقة التواتر وغيرها[2]. وتقسم هذه الحجج إلى:

أ) **الحجج المبنية على المنطق:** وهي أنواع:

* **التناقض وعدم الاتفاق:** هو أن يكون هناك قضيتان في نطاق مشكلتين إحداهما نفي للأخرى ونقض لها، كأن يقال: المطر ينزل ولا ينزل. في حين أن عدم الاتفاق أو التعارض بين ملفوظين يتمثل في وضع الملفوظين على محك الواقع والظروف أو المقام لاختيار إحدى الأطروحتين وإقصاء الأخرى فهي خاطئة.

1- عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، ص41.

2- المرجع نفسه: ص 42.

* **التماثل والحد في الحجاج**: التماثل التام مداره على التعريف من حيث هو تعبير عن التماثل بين المعرَّف (بفتح الراء) و المعرِّف (بكسر الراء)، وليس المعرف(بكسر الراء) تمام المعرف(بفتح الراء) على الحقيقة .ولهذا سمي هذا الحجاج حجاج شبه منطقي، مثاله: الرجل رجل أو الأب يبقى دائما أباً[1].

* **الحجج القائمة على العلاقة التبادلية وعلى قاعدة العدل**: تتمثل هذه الحجج في معالجة وضعيتين إحداهما بسبيل من الأخرى معالجة واحدة، وهذا يعني أنهما متشابهتان بطريقة أو بأخرى. مثال:

" لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".

يقول أحمد شوقي: **أحرام على بلابله الشدو *** حلال للطير من كل جنس**[2]

* **حجج التعدية:** التعدية خاصية شكلية تتصف بها ضروب من العلاقات التي تتيح لنا أن نمر من إثبات أن العلاقة الموجودة بين (أ) و(ب) من ناحية و (ب) و(ج) من ناحية أخرى هي علاقة واحدة إلى استنتاج أن العلاقة نفسها موجودة بالتالي بين (أ) و(ج). مثال ذلك: عدو عدوي صديقي.

ب)**الحجج شبه المنطقية المعتمدة على العلاقات الرياضية**: تعتمد هذه الحجج على قواعد رياضية التي تؤسس طاقتها الحجاجية بهدف الإقناع منها:

* **إدماج الجزء في الكل**: يكون الحجاج في هذه الحالة قائما على النموذج التالي: " ما ينطبق على الكل ينطبق على الجزء" مثل: ما اسكر كثيره فقليله حرام.

* **تقسيم الكل إلى أجزائه المكونة له**: تصور الكل على انه مجمل أجزائه تبنى عليه طائفة من الحجج يمكن تسميتها حجج التقسيم أو التوزيع، كقولنا: الكلام اسم وفعل وحرف[3].

1- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج, ص 44.

2- المرجع نفسه: ص 46.

3- المرجع نفسه: ص 48.

2- الحجج المؤسسة على بنية الواقع:

" تقتضي هذه الحجج ترابطا بين عناصر الواقع الذي ترتكز إليه من اجل الحجاج. فاستخدام هذه الحجة بعني أن التوضيح بصورة جلية للرابط بين القضية التي يتم الدفاع عنها، وعنصرا مقبولا سلفا لدى المتلقي، هذا الرابط يجب أن يكون معطى مسبقا. ولا يتم خلقه أو إيجاده عند الحاجة، مثلما هو الحال في المماثلة "[1].

وقد ميز **بيرلمان** بين صنفين من الحجج القائمة على بنية الواقع وفقا للرابط، حيث يمكن أن يكون هذا الرابط رابط تتابع كالعلاقة بين السبب والنتيجة، أو رابط تعايش كالحجة بالصلاحية. والى وجوه الاتصال التتابعي تنتمي حجج التبرير وحجج الاتجاه،أما النوع الثاني من الروابط (روابط التعايش) فتنتمي إليه حجة السلطة .

3-الحجج المؤسسة لبنية الواقع:

تهدف هذه الحجج إلى الربط بين الأحداث المعاشة والمتتابعة، فهي تجمع بين وقائع مترابطة زمنيا أو مكانيا أو رمزيا. وتربطها صلة قوية بالواقع . ولكنها لا تتأسس عليه ولا تتبني على بنيته، وإنما هي التي تؤسس هذا الواقع وتبنيه. ويمكن هذا الواقع وتبنيه. ويمكن التمثيل للترابط فيما يلي:

- في هذا الحي ذباب كثير إذن هناك قمامات قريبة ← تلازم مكاني .
- هذا الشخص يعاني من سرطان الرئة، إذن كان يدخن ← هذا تلازم زماني.
- هؤلاء المتظاهرون يحرقون العلم الإسرائيلي، إذن هم رافضون للكيان الصهيوني ← هذا تلازم رمزي[2].

1-ينظر: فيليب بروتون، جيل جوتييه: تاريخ نظريات الحجاج، تر: محمد صالح ناجي الغامدي، مركز النشر العلمي ، جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية،ط 1. 2011،ص 49.

2- ينظر: بوصلاح فايزة: الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام ، مقاربة تداولية، جامعة وهران ،2009/ 2010، ص 152.

وتقوم هذه الحجة ببناء الواقع وتأسيسه من خلال تقنيتين من الاستدلال المؤسس لبنية الواقع وهما:

أ) **تأسيس الواقع بواسطة الحالات الخاصة**: منها المثلL'exemple الذي يؤتى به لتأكيد الفكرة المطروحة. ويلحق بالمثل الاستثمار بالنصوص ذات السلطوية على المخاطب كالمقولات الدينية أو كلمات القادة الخالدين في نظر الجماعة المقصودة[1]. ومن الحالات الخاصة أيضا البينة أو التبيين أو الاستشهاد L'illustration والاستشهاد من شأنه أن يقوي درجة التصديق بقاعدة ما معلومة وذلك بتقديم حالات خاصة توضح القول ذا الطابع العام، وتقوي حضور هذا القول في الذهن[2]. وعلى هذا الاستشهاد يؤتى به للتوضيح في الحين أن المثل يؤتى به للبرهنة ولتأسيس للقاعدة.

ومن الحالات الخاصة أيضا النموذج و عكس النموذج Le modèle et l'anti_modéle ومداره على كائن نموذج يصلح على صعيد السلوك لتأسيس قاعدة عامة أو دعمها فحسب وإنما يصلح كذلك للحض على عمل ما اقتداء به ومحاكاة له ونسجا على منواله[3].

ب) **الاستدلال بواسطة التمثيل (Analogie)** : يقوم على استخدام التمثيل استخداما حجاجيا لأنه في الحقيقة قائم على العلاقة تشابه بل هو (تشابه علاقة) فضلا عن وجه الشبه فيه عقليا، أمر يمنح المخاطب متعة كبيرة وتسليما بالفرضيات المقدمة وذلك يكشف دقة وجه الشبه وطرافة الاستدلال بالتمثيل. مثال ذلك قوله تعالى:{ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ} [4]، نجد في الآية :

1- مؤيد آل صونيت: تقنيات الحجاج في نهج البلاغة، كلية الآداب . الجامعة المستنصرية ،ص 10.

2- عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، ص55.

3- المرجع نفسه: ص 55.

4- سورة العنكبوت: الآية 41.

أ_ المشركون / ب- أوليائهم (الأصنام)

ج- العنكبوت / د- بيتها [1]

العلاقة بين العناصر ليست علاقة تشابه بل تشابه علاقة وذلك أن علاقة (أ) و(ب) أي المشركون بأوليائهم تشبه علاقة (ج) ب(د) أي علاقة العنكبوت ببيتها، فالأولى يعبدون الأصنام ويعتصمون بها أما الثانية تبني بيتها فتعتصم به من المعتدي.

يسمى المؤلفان (أ) و(ب) أي المشركون والأصنام الموضوع Le thème، ويسميان العنصرين (ج) و(د) أي العنكبوت وبيتها الرافعة أو الحامل Phore.[2]

ثانيا: تقنيات الفصل Dissociation :

إن الانفصال بين العناصر في الحجاج يقتضي وجود وحدة بينها وبين مفهوم واحد لها فهي عناصر عائدة إلى اسم واحد يعينها وإنما وقع الفصل بينها لأسباب دعا إليها الحجاج، ومرد ذلك إلى زوج (الظاهر/ الواقع). بمعنى أن الأشياء أو المعطيات قد تكون حدان ظاهر زائف وواقع حقيقي . ويرى **بيرلمان وتيتكا** أن الظاهر هو ما يخاطر بالذهن ويدركه الفكر منذ الوهلة الأولى فهو المعطى الراهن المباشر، في حين أن الحقيقي لما كان تميزه لا يكون إلا في علاقته بالظاهر ومقارنته به فانه لا يمكن أن القضاء على ما يمكن أن نلمحه في مظاهر الحد الأول، هذا من تناقضات بينها توقظ فكرنا من غفلته عنها وانخداعه بها. وتتجلى طرائق الفصل في الأقوال والخطابات بما يعبر عن حضور أزواج من قبيل :

- هو يشبه كذا. مثل الشبه العلمي.
- اللا كذا. اللا علمي مثلا.
- بعض الجمل الاعتراضية كقولنا: إن هذا البطل إن صح انه بطل...

1- عبد الله صولة : في نظرية الحجاج، ص 57.

2- المرجع نفسه: ص 75.

- بعض الأفعال مثلا : يزعم، يتوهم في قولنا مثلا: يزعم أو يتوهم انه بطل. هذه التعابير كلها وغيرها كثير تستمد مظهرها الحجاجي من فصلها داخل المفهوم الواحد منقسما إلى حدين: حد/ وحد، كأن يقال: إن ملكا يفعل هذه الأفاعيل ليس ملكا[1].

ومن التقنيات الانفصالية نجد :

أولا: الأدوات اللغوية:

1- **ألفاظ التعليل**: تعد من الآليات اللغوية التي يستعملها المرسل لتركيب خطابه الحجاجي وبناء حججه فيه ومنها: (المفعول لأجله، وكلمة السبب، ولأن). إذ لا يستعمل المرسل أي أداة من هذه الأدوات، إلا تبريرا أو تعليلا لفعله، بناء على سؤال ملفوظ به أو مفترض[2].

الأفعال اللغوية: يرى (فان ايميرن وجروتندروست) أن الأفعال اللغوية تسهم بادوار مختلفة في الحجاج بين طرفي الخطاب وتترتب الأفعال حسب مقدار الاستعمال، فالمرسل يستعمل اغلب أصناف الفعل التقريري، ليعبر عن وجهة نظره وليحدد موقفه من نقطة الخلاف، كما يستعمله للمواصلة في حجاجه من خلال التأكيد أوالادعاء. وقد " صنف سيرل (Searle) الأفعال اللغوية إلى " أفعال التزامية" التي تستعمل في التعبير عن قبول وجههة النظر أو الرغبة في الحجاج أو عدمه، وفي تدعيم موقف المرسل الذي اتخذه للتعبير عن الموافقة على مناصرة الدعوى أو معاداتها واتخاذ القرار ببدء النقاش مع الموافقة على ضوابطه"[3].

1- عبد الله صولة: في نظرية الحجاج , ص 61-63.

2- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 478.

3- المرجع نفسه، ص 482.

أما الأفعال التوجيهية فلا يستعمل المرسل جميع أصنافها ذلك لطبيعتها التي لا تناسب ما تقتضيه طبيعة النقاش، ولذلك يقتصر المرسل على البعض منها: مثل التحدي للدفاع عن وجهة النظر، أو طلب الحجاج[1].

2- **الحجاج بالتبادل**: يحاول المرسل بهذه الآلية أن يصف الحال نفسه في وضعين ينتميان إلى سياقين متقابلين، وذلك ببلورة علاقات متشابهة بين السياقات. كما يمكن أن تكون الحجج نقلا لوجهة نظر بين المرسل والمرسل إليه وذلك مثل الخطابات التالية:

- ما يأتي بسهولة يذهب بسهولة.
- عامل الناس كما تحب أن يعاملوك.
- لا ترضى لي إلا ما ترضاه لنفسك[2].

3- **الوصف**: يشتمل الوصف عددا من الأدوات اللغوية منها:

- **الصفة:** تعد الصفة من الأدوات التي تمثل حجة للمرسل في خطابه، وذلك بإطلاقه لنعت معين على سبيل إقناع المرسل إليه.
- **اسم الفاعل:** يعتبر من نماذج الوصف التي يدرجها المرسل في خطابه بوصفها حجة ليسوغ لنفسه إصدار الحكم الذي يريد، لتتبني عليه النتيجة التي يرومها.
- **اسم المفعول**: ويصنف على أنه من الأوصاف الحجاجية المستعملة، وهو :اسم مشتق، يدل على معنى مجرد، غير دائم، وعلى الذي وقع عليه هذا المعنى، فلا بد ان يدل على الأمرين معاً" مثال ذلك: أنا مظلوم، أنصفوني.[3]

4- **تحصيل حاصل**: هناك من يعد الخطابات مجرد حشو أو تحصيل حاصل لا تقدم شيئا في الخطاب، والحق أن كل جزء من الخطاب يضطلع بدلالته الحجاجية.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص 482.

2- المرجع نفسه، ص 486.

3-المرجع نفسه، ص 489.

ثانيا: الآليات البلاغية:

و من بين الأدوات والآليات اللغوية و البلاغية التي قد تؤدي الوظيفة الحجاجية نذكرها:

1- **تقسيم الكل إلى أجزائه (التفريع)**: قد يذكر المرسل حجته كلية في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها، إذا كانت ذات أجزاء، وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية، فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه[1].

2- **الاستعارة:** " تعرف الاستعارة الحجاجية بكونها تلك الاستعارة التي تهدف إلى إحداث تغيير في الموقف الفكري أو العاطفي للمتلقي"[2]. لذلك يوظف المرسل الاستعارة لثقته أنها ابلغ من الحقيقة حجاجيا، وهذا ما يود المرسل تحقيقه.

3- **التمثيل**: وهو عقد الصلة بين صورتين ليتمكن المرسل من الاحتجاج وبيان حجته.

4- **البديع**: وله دور حجاجي لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد، حتى لو تخيل الناس غير ذلك. فأساليب البيان مثلا كالمقابلة والجناس والطباق وغيرها ليست اصطناعا للتحسين والبديع وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ[3].

وإجمالا فهناك أدوات كثيرة وآليات متعددة تسهم في بناء الخطاب حجاجيا بما يتناسب مع السياق.

ثالثا: الآليات الشبه المنطقية:

وهي من التقنيات الحجاجية التي قدمها عبد الهادي بن ظافر الشهري في كاتبه "استراتيجيات الخطاب". ضمن الآليات التي يجسدها السلم الحجاجي بأدواته وآلياته اللغوية، ويندرج ضمنه كثير منها. مثل الروابط الحجاجية (لكن، حتى، فضلا عن، ليس،

1-عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص 494.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص495.

3- المرجع نفسه، ص 498.

كذا، فحسب، أدوات التوكيد)، وكذا درجات التوكيد، الإحصاءات وبعض الآليات منها الصيغ الصرفية مثل: التعدية بأفعل التفضيل والقياس وصيغ المبالغة[1].

ويمكن تعريف السلم الحجاجي بأنه"عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال المزودة بعلاقة ترتيبية وموفية بالشرطين التاليين:

أ- كل قول يقع في مرتبة ما من السلم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

كل قول كان في السلم دليلا على مدلول معين، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه.[...]"[2]. وميزة السلّم الحجاجي هو أنّ كلّ قول يرد في درجة ما من السلّم، يكون القول الّذي يعلوه دليل أقوي منه، والعكس غير صحيح، وقبول الحجاج الأوّل يستلزم قبول الحجاج الثاني

وتصوير ما سبق كالتّالي[3]:

النتيجة: كفاءة زيد ومكانته العلمية.

الحجّة الثالثة: حصل زيد على شهادة الدكتوراه.

الحجّة الثانية: حصل زيد على شهادة الإجازة.

الحجّة الأولى :حصل زيد على شهادة الثانوية.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ص477.

2- طه عبد الرحمن: اللسان والميزان، ص 277.

2- حمو النقاري: التحاجج طبيعتة ومجالاته ووظائفه وضوابطه، ط 1، النجاح الجديد، الدار البيضـــاء، 1427ه/ 2006، ص59.

ن: كفاءة زيد

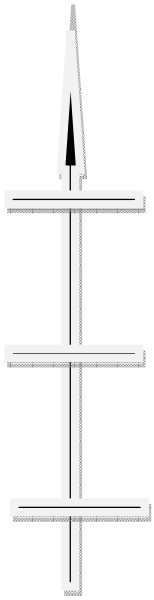

ح3 حصل زيد على شهادة الدكتوراه

ح2 حصل زيد على شهادة الإجازة

ح1 حصل زيد على شهادة الثانوية

ورغم أنّ هذا السلّم يخطر بالبال ما يشبه القياس المنطقي، لكنّه يبدو من أمثلة مطروحة من قبل ديكرو وغيره، أنّ مجاله أوسع من الأقيسة المنطقية، كما اندرج تحت عنوان آليات شبه المنطقية، فليست منطقية بحتة؛ ولعلّ السبب راجع إلى الحجر الأساس لرأي ديكرو، وهو كون الحجاج كامنا في اللغة.

الفصل الثاني:

آليات الحجاج في الخطبة

1. الأدوات اللغوية
2. الآليات البلاغية
3. الآليات شبه المنطقية

تمهيد:

خطبة حجة الوداع من أهم خطب الرسول صلى الله عليه وسلم في التاريخ الإسلامي. لم ترد كاملة في موضع واحد من مصادر الحديث، فقد جاءت موزعة فيها على أكثر من باب وأكثر من حديث، مع اختلاف الرواية. وكانت خطبة الوداع لقاء بين أمة ورسولها؛ بل لقاء توصية ووداع، لخص لهم فيه أحكام دينهم ومقاصده الأساسية في كلمة جامعة مانعة. وقد حج الرسول صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة لأداء فريضة الحج، وهي حجة الوداع التي لم يحج غيها منذ أن هاجر إلى المدينة[1]، وإن كان قد حج حجتين قبل أن يهاجر،* وأعلم الناس أنه حاج، فتجهزوا للخروج معه. وقد حج بالناس فأراهم مناسكهم وعلَّمهم سنن حجَّهم وخطب خطبته التي بيَّن للنّاس فيها ما بيَّن.

تطرقت هذه الخطبة إلى موضوعات متعددة ومختلفة تصب كلها في تشريع إسلامي واحد، وتنظم المجتمع وترسي قواعده ويمكننا تقسيم موضوعات الخطبة إلى:

- بيان حرمة أموال ودماء المسلمين.
- الأمانة : بيان أن الخيانات قد انتهت بكل ضروبها.
- تحريم الربا وإسقاط حق المطالبة بالثأر.
- النسيء: قضية الزمن وطرق حسابه والعبث به.
- حقوق الزوجين: حديثه صلى الله عليه وسلم عن حقوق الأزواج على الزوجات ثم العكس، وفي ذلك تنظيم لعلاقة الفرد بالمجتمع.
- دعواه صلى الله عليه وسلم إلى دعم الروابط بين المؤمنين.

1- هاشم صالح المناع: خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع. دراسة تحليلية، دار الفكر بيروت، ط1، 1989، ص 22.

*- وقيل أنه مكث تسع سنين لم يحجَّ ثم أذن في الناس في العاشرة أنه حاجٌ.

- يحذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن لا يرجعوا بعده كفارا، ثم يدعوهم إلى المساواة في الحقوق
- ثم ينتقل في خطبته ليوضح ما شرعه القرآن من نظام التوريث.
- وفي ختام خطبته يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم مشكلة الأبناء غير الشرعيين وقضية نسبهم.

الخطب النبوية:

الرسول صلى الله عليه وسلم أخطب العرب قاطبة، ومعنى ذلك أنه أقدرهم على الإقناع وأملكهم للحجة، وقد تميزت خطب الرسول صلى الله عليه وسلم من حيث المستوى الأسلوبي بأنها خطب قصيرة على وجه العموم، وبأنها واضحة في ألفاظها فكان يستعمل الألفاظ السهلة مع متانتها وخلوها من التكلف والصنعة، يقول الله تعالى: ﴿ قُلْ ما أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِين إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ لِلْعَالِمِين﴾[1]. " وكان الرسول صلى الله عليه وسلم في خطابته يبتدئ بحمد الله والثناء عليه ثم ينتقل إلى موضوع الخطبة ويختمها بذكر الله، وقد استطاع بذلك أن يؤسس لنمط جديد يختلف عن نمط الخطبة الجاهلية، كما أنه يمثل بذلك قوة حجاجية تتسرب من خلال البنية الخطابية نفسها...، ولعل ابتعاد الخطابة النبوية عن السجع هو جزء أسلوبي مهم أيضاً في التأسيس لخطابة وحجاج جديد،" ومن المحقق أن الرسول كان في خطابته_ كما كان في حديثه_ لا يستعين بخلابة ولا تزويق، وقد برئت ألفاظه من الإغراب والتعقيد والاستكراه، وهي مع ذلك ألفاظ جزلة لها بهاء ورونق، تعمر بها القلوب والصدور وترتاح إليها الأسماع والأفئدة"[2].

1- سورة ص: الآية 86-87.

2- جمعان عبد الكريم الغامدي: الحجاج في الخطبة النبوية، العدد العاشر. 2013م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة. ص .283

آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع:

يقدّم هذا القسم آليات حجاجية استعملها النبيّ لنجاح خطابه، وهذا حسب ما قد مرّ ذكره يعالج في ثلاثة أقسام أدوات لغوية وآليات بلاغية وآليات شبه منطقية.

المبحث الأول: الأدوات اللغوية:

أولا: التكرار: التكرار أو التكرير، من أبرز أساليب الحجاج اللغوية، إذ يعتمده المرسل لإثبات دعواه أو قضيته، وللتكرار وظائف خطابية عدة عبر عنها بالإفهام والإفصاح والكشف وتوليد الكلام والتشييد من أمره، وتقرير المعنى وإثباته.

فقد صنف" ابن الأثير " التكرار إلى:

- التكرير في اللفظ وفي المعنى.
- التكرير في المعنى دون اللفظ.[1]

ومن أمثلة التكرار الأدوات في خطبة حجة الوداع :

1-تكرار أداة الإشارة (هذا) في قوله عليه الصلاة والسلام:

- **لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا.** الملاحظ في هذه العبارة انه قد تم تكرار اسم الإشارة (هذا) مرتين. أشار صلى الله عليه وسلم بالأولى إلى زمان معين(عامي هذا)[2] وبالثانية لمكان معين(موقفي هذا)[3]، بهذا التكرير الاشاري الدال على القريب الزماني المكاني ،يمكن التماس ضرورة أخذها البياني من القول على محمل الجد، وبهذا يكون حجة على المستمعين في فهم وإدراك ما يسمعون.

وأيضا تكرار هذه الأداة في قوله عليه الصلاة السلام:

1- محمد العيد: النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة لكتاب الجامعة ، القاهرة، ط1، 2005، ص 231. 232.

2- المقصود به العام القمري الذي تنتهي بذي الحجة.

3- موقف عرفة.

- **"إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا".**

تكرار أداة الإشارة (هذا) أفاد توكيد الحرمة الأولى المتمثلة في الدماء والأموال، لأنه يبني على تنبيه ماهو حرام بالنص المعروف مسبقا لدى المخاطبين وهو بالتالي حجة دامغة على شرعية الحرمة الأولى.

2-تكرار كاف التشبيه: لقد وردت كاف التشبيه في موضعين اثنين، الأول في قوله عليه الصلاة والسلام: " **إن دماءكم و أموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا** " والثاني في قوله عليه الصلاة: " **إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض ".**

أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يثبت حرمة الدماء والأموال في حكمها المغلق، فاستعان بحرمة ثابتة في عقول المخاطبين عن طريق استخدام أداة التشبيه الكاف التي سهلت عليه عملية الربط بين الحرمتين السابقة واللاحقة، وهنا تبرز وظيفة أداة الكاف في إقامة الحجة والبرهان على قطعية هذه الحرمة الدماء والأموال.

أما في القول الثاني أراد أن يرسخ في الأذهان الدورة الطبيعية للأشهر التي خلقها الله تعالى في الأزل والتي تتعارض في تواليها عبر مرور الزمن ولا تتغير أبدا.

ولعل هذه الحتمية الطبيعية هي التي أفادتها أداة التشبيه "الكاف" في تطابق الاستدارة ـــأي الهيئة الثانية مع الهيئة الأولى، أي لا تغير يذكر في تعاقب الزمن.

3-تكرار لفظ لفظ الجلالة "الله": في قوله عليه الصلاة والسلام

- " **أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء"**، وهو تكرار يفيد حث المتلقي على استحضار خشية الله في معاملة النساء.

التوكيد: التأكيد فيه إشارة إلى إن المؤكد أمر هام، يستدعي من المتلقي تأملا وإجالة فكر[1]، وهذا ما نجده في ثنايا الخطبة، وأكثر ما تم به التأكيد الأداة " إن "، ومن تلك العبارات نذكر:

- **إني لا أدري لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا.**
- **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم.**
- **وان ربا الجاهلية موضوع.**
- **إن لنسائكم عليكم حقا،**
- **وإن ربكم واحد، وإن أباكم واحد...**

ولقد ذهب البلاغيون إلى أن استخدام أداة التوكيد واحدة ضمن العبارة هي لحسم الشك والتردد.، وليس هذا الأمر مطرداً على نسق متواصل، فقد يخرج استخدام الأداة في غير هذا الموضع مراعاة لغير الظاهر، كما قرر البلاغيون، فقد ذكر القزويني ذلك في قوله: " وكثيراً ما يخرج على خلافه، فينزل غير السائل منزلة السائل – أي المتردد الشاك – إذا قدم إليه ما يلوح له بحكم الخبر، فيستشرف له استشراف المتردد الطالب "[2]، إن أداة التوكيد سواء أكانت واحدة أم أكثر فإنها تفيد توثيق الخبر وضمان حسن تلقيه وأثره في نفس المتلقي واتخاذ موقف معين منه، سواء أكان في الأمر شك أم لم يكن.

وكذلك نجد توظيف حرف التحقيق والتوكيد "قد" منفردا، ومقترنا ب" إن" لزيادة التوكيد ومضاعفته، كما في قوله صلى الله عليه وسلم:

- **" إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم".**
- **" إني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده كتاب الله".**

1 - عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية, عالم الكتب الحديث، اربد، الأردن ط1، 2012، ص 148

2- محمد محي الدين عبد المجيد: لإيضاح في علوم البلاغة : لجنة من الأزهر، القاهرة، ص 19.

- " **إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث...**".

وفي عبارة" **إن الزمان قد استدار**" أكثر من مؤكد وهي:

الحرف المشبه بالفعل "إن". والجملة جاءت اسمية، وقد الداخلة على جملة الفعلية" استدار" الواقعة خبرا لأن، وتكرار الإسناد في استدار لان فاعله ضمير يعود إلى الزمان.

ومن صيغ التوكيد الأخرى في خطبته صلى الله عليه وسلم اتصال نون التوكيد بالفعل المضارع، ونجد هذا في قوله صلى الله عليه وسلم:

- **لا ترجعن بعدي كفارا.**
- **لا تظلمن أنفسكم.**

أيضا ورد التوكيد بأسلوب القصر كما في قوله صلى الله عليه وسلم: "**لا اله الا الله**" ، "**ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم**"، " **ولا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه**"

ثانيا: الأفعال الكلامية:

كلّ فعل يحدث في الواقع ويعبّر عنه بلفظ في اللغة تسمّى هذه الأفعال بأفعال كلامية وتنقسم حسب وظيفتها في الكلام.

1- **فعلا الأمر والنهي**: اهتم الدارسون بالفعل وعلاقته في إطار الحجاج اللغوي إيمانا منهم بأن اللغة كما يقول بيرلمان " ليست وسيلة تواصل فحسب، بل إنها أيضا أداة تأثير في النفوس ووسيلة إقناع"[1]. وما استعمل منها في هذه الخطبة منها الأفعال الإخبارية والأفعال الانجازية نذكر:

1 -Ch ، Perlman ...Traité de l'argumentation ، Op.cit ، p 177 نقلا عن: عبد الجليل الشعراوي، الحجاج في الخطابة النبوية ،ص 151.

ومن الأفعال الانجازية منها:

1- **فعل الأمر:** يدخل الأمر في البلاغة العربية ضمن أساليب الإنشاء الطلبي، وهو طلب الفعل على وجه الاستعلاء. والأمر في الخطبة طلب لأمر شرعي وحكم لا يقبل المناقشة. وللأمر وجهتان في التعبير البلاغي: حقيقي ومجازي، الأمر الحقيقي: صيغته موضوعة لطلب الفعل استعلاماُ، لتبادر الذهن عند سماعها إلى ذلك وتوقف ما سواه على القرينة[1]. أما صيغة الأمر المجازي – فكما قال القزويني – قد تستعمل في غير طلب الفعل بحسب مناسبة المقام، كالإباحة، التهديد، التعجيز والتسخير. ومثاله قوله صلى الله عليه وسلم:

- " اسمعوا مني أبين لكم".
- " فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها".
- " عليكم رزقهن وكسوتهن ".
- " اتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيرا " .

إن حجة الأفعال الآمرة التي وضعت في صيغة الأمر تكمن في علاقة الآمر بالمخاطبين، فكلما كانت هذه العلاقة مبينة ومربوطة كلما كانت حجة الفعل قوية ومؤثرة في المتلقين. زهنا علاقة الرسول صلى الله عليه وسلم بأصحابه علاقة السمع الطاعة، ومن ثم اكتسبت هذه الأفعال (اسمعوا، اتقوا، اتقوا) قوة الحجة الخاضعة في تنفيذ ما أمر به المسلمون في حياتهم المعيشية.

أ- **أسلوب النهي**: أسلوب إنشائي بموجبه يطلب الكف عن الفعل على وجه الاستعلاء[2]. وورد في الخطبة على منوال الأمر، إذ نواهيه صلى الله عليه وسلم تقتضي من السامعين الامتثال لمحتواها، ومن أمثلته:

- " **ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم** ".

1- الإيضاح في علوم البلاغة، لجنة من الأزهر، إشراف محمد محي الدين، القاهرة ،ص 134.

2- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 152.

- " **ولا يأتين بفاحشة مبينة** ".
- " **لا يحل لامرئ مال أخيه إلا عن طيب نفس منه** ".
- " **فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بغضكم رقاب بعض** ".
- " **لا تظلمن أنفسكم** ".
- " **ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث** ".

كما سبق القول في فعل الأمر ينطبق على الأفعال التي سبقت بأداة نهي وهي :(لا يدخلن، لا يأْتين، لا يحلُّ، لا ترجعنَّ، لا تظلمنَّ) حجة هذه الأفعال المنهي عنها تبرز كما قلنا في حقيقة الناهي وعلاقته مع المخاطبين هذا من جهة، ومن جهة أخرى في طبيعة المنهي عنه من السلوكات. فالناهي هو الرسول صلى الله عليه وسلم وعلاقته بالمخاطبين تفوق أقصى درجات الطاعة الامتثال لأوامره.

إن صلة فعلي الأمر والنهي بالحجاج وثيقة، لأنهما يحملان معنى الدعوة، ويهدفان إلى توجيه المتلقي إلى سلوك معين، تحدده وصايا الخطبة وتشريعاتها.

أ- فعل الاستفهام: يعد الاستفهام من أنجع أنواع الأفعال اللغوية حجاجا،وهو ما يتوسل به الكثير في فعلهم إذ " أن طرح السؤال يمكن أن يضخم الاختلاف حول موضوع ما إذا كان المخاطب لا يشاطر المتكلم الإقرار بجواب ما، كما يمكن أن يلطف السؤال ما بين الطرفين من اختلاف إذا كان المخاطب يميل إلى الإقرار بجواب غير جواب المتكلم"[1]. ونجد أن خطبة الرسول صلى الله عليه وسلم قد ارتكزت على هذا الأسلوب، وذلك في عبارته المتكررة " ألا هل بلغت ؟ "، وقد جاء الاستفهام في هذا الموضع استفهام مجازي وهو مالا يحتاج إلى جواب.

ب-**فعل النداء:** يعد النداء توجيها، لأنه يحفز المرسل إليه لردة فعل تجاه المرسل. وقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم خطبته_ بعد الحمد والثناء_ بالنداء (**أيها الناس**)،

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: إستراتيجيات الخطاب، ص484.

وأول ما نلحظه في هذا النداء أن رسول الله صلى الله عليه وسلم استغنى عن أداة النداء" يا"، والغرض منه هنا تحقيق القرب والتلاحم بين أبناء الأمة، فكأن الناس قريبون إليه يناديهم بأرق النداء وأعذبه ليستميل قلوبهم إلى ما يلقي عليهم من حسن التوجيه وسديد الإرشاد. وهذا دليل على قرب المنادي للمنادى.

يقول ابن الحاجب في" يا" النداء:" أنها حقيقة في القريب والبعيد لأنها لطلب الإقبال مطلقاً، وقال الزمخشري: إنها للبعيد"[1].

ت- **الأفعال الشرطية**: القصد من تراكيب شرطية، ليس جملة شرطية على ما هو المعهود في النحو فحسب، بل تشمل كلّ ما يشمّ منه رائحة الشرط وإن لم يجر على قواعد الجمل الشرطية في النحو وإن لم يوجد فيها فعلا الشرط وجواب الشرط أو فاء الجزاء[2]. وفي الخطبة نواجه كثيرا من تراكيب شرطية نحوية أو غيرها، ممّا ساهم في العملية الحجاجية، وفي ما يلي سيقدّم نماذج منها قوله صلى الله عليه وسلم:

- " من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له ".
- " فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ".
- " فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن ".
- " من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله...".

هذه التراكيب الشرطية عرضت بمثابة حجج تحاول إقناع المخاطب بأهمية ما ورد في الخطبة.

1- جليل رشيد فالح: خطبة حجة الوداع دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين، العدد 13، 2007.

2_ طاهر طويائي، مرضية آباد: بلاغة الحجاج في خطبة الغدير, مجلة اللغة العربية وآدابها، العـــدد 2، 1436ه. ص 272.

المبحث الثاني: الآليات البلاغية

هذه الخطبة بما أنّها خطابية إقناعية لأنها تناولت موضوعات مختلفة تنصب كلها في تشريع إسلامي والقصد من إلقائها تنظيم العلاقات بين الأفراد في سبيل بناء مجتمع إسلامي راسخ القواعد، وثابت الأركان. فلهذا لا مجال لاستعمال المحسنات البديعية وتوظيف الصور البلاغية لتقريب الفكرة والتأثير في السامع باستنهاض فكره.

وقد تنوعت الصور البيانية في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع رغم قلة عددها.

أولا: تقسيم الكل إلى أجزائه (التفريع): " التفريع أو تقسيم الكل إلى أجزائه وهو أن يذكر المرسل حجته كليا في أول الأمر، ثم يعود إلى تفنيدها وتعداد أجزائها أن كانت ذات أجزاء وذلك ليحافظ على قوتها الحجاجية فكل جزء منها بمثابة دليل على دعواه" [1]. ومن أمثلته في خطبته صلى الله عليه وسلم قوله:

1- " ...**وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان** ". أي أن عدة الشهور أو مدتها في حكم الله وفيما كتب اللوح المحفوظ اثنا عشر شهرا (السنة العربية الهلالية). ففي الجاهلية كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهرا ،وأخرى يجعلون السنة اثني عشر شهرا وخمسة وعشرين يوما. وقد ذكر صلى الله عليه وسلم عدد الشهور في كتاب الله واستشهد على قوله من القران الكريم. وجاء ترتيب حجته كليا أول الأمر(عدة الشهور اثنا عشر شهرا)، ثم أجزائها (ثلاث متواليات وواحد فرد). ذلك حفاظا على قوتها الحجاجية.

1- عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتجيات الخطاب، ص 494.

ثانيا: الاستعارة: تحدد الاستعارة بكونها مجازا قائما على التشبيه،" استعملت فيه الألفاظ في غير ما وضعت له في أصل اللغة"[1]. لعلاقة بينهما، وهي تعتمد على التفاعل التام بين طرفيها. ونجد في الخطبة قد وظف الاستعارة في قوله صلى الله عليه وسلم: " إن مآثر الجاهلية موضوعة، غير السدانة والسقاية..."، فحياة العرب في الجاهلية كانت تقوم على سفك الدماء فهم لا يفرغون من دم إلى دم أخر. ولذلك كان اكبر قانون عندهم هو قانون هو قانون الأخذ بالثار[2]. فقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المآثر التي هي معنوية وما يفتخر به العربي وخاصة الأخذ بالثار.فجعل هذه الأشياء المعنوية كأنها ماديات يضعها تحت قدميه. وتكمن روعة الصورة في كونها تقوم على المقابلة بين المآثر العظيمة وبين الاحتقار الشديد. فتقديم المعنى بهذه الصورة يجعل المتلقي يتمثله ويتبين حجمه وسعة أهميته، ومن ثم الامتثال والتعاظ[3]. وتكمن فاعلية الاستعارة في التناسب مع ما يقتضيه السياق فهي ابلغ واقوي الآليات الحجاجية.

ثالثا: التشبيه: التشبيه" صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته"[4]. وقد وظفه صلى الله عليه وسلم في خطبته في معرض حديثه عن حرمة الدماء والأموال بقوله صلى الله عليه وسلم:

- " **إن دماءكم وأموالكم حرام عليكم إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا، في شهركم هذا في بلدكم هذا ".** والغرض من هذا التشبيه تغليظ الحرمة، وقد زاد من تأكيد ذلك المؤكد إن وكذلك تكرار اسم الإشارة.

1- ابن رشيق : العمدة، ص271.

2- هاشم صالح مناع: خطبة النبي (ص) في حجة الوداع، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، 1989، ص 39.

3- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية, ص 156.

4- ابن رشيق: العمدة، ص 286.

- وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: " **لا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه**". نتيجة هذا القول المؤمنون إخوة. استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب الحصر في هذا الموضع زاد من قوة حجته.
- وقوله صلى الله عليه وسلم: " **إنما النساء عوان**". فقد شبهت المرأة أو الزوجة في بيت الزوج بالأسيرة. لأن المرأة أمرت بطاعة زوجها في المعروف، وباستئذانه في ما يجب أن يستأذن فيه. وهذا التشبيه تشبيه بليغ، المشبه فيها (النساء)، والمشبه به (عوان)، والأداة مقدرة ووجه الشبه محذوف[1]. وجاء توظيف التشبيه لتقريب الفكرة والتأثير في المتلقي بان يعامل المرأة برفق ورحمة. ويكون ترتيب الحجج على النحو التالي:

حجة1: إنما النساء عندكم عوان.

حجة2: لا يملكن لأنفسهن شيئا.

حجة3: واستحللتم فروجهن بكلمة الله.

نتيجة: فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا.

رابعا: البديع: لا يقف دور الأشكال اللغوية على زخرفة الخطاب فقط ، وإنما بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد. ف" أساليب البيان مثل المقابلة والجناس والطباق وغيرها، ليست اصطناعا للتحسين والبديع، وإنما هي أصلا أساليب للإبلاغ والتبليغ"[2].

سنقف على نماذج من هذه الصور البديعية في الخطبة من ذلك:

1- الطباق: المطابقة في الكلام: أن يأتلف في معناه ما يضاد في فحواه المطابقة عند جميع الناس: جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت الشعر[3]، يقال لها ايضا التضاد والتكافؤ والطباق..، ومن أمثلتها في الخطبة قوله صلى الله عليه وسلم: " **إن النسيء...**

---

[1]- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 155.

[2]- طه عبد الرحمن: مراتب الحجاج وقياس التمثيل، مجلة كلية الآداب و العلوم الإنسانية ، جامعة سيدي محمد - بن عبد الله، فاس. ص8.

[3]- ابن رشيق: العمدة، ج2، ص5.

يحلونه عاما ويحرمونه عاما..." قابل بين فعلي يحل ويحرم، وايضا في قوله صلى الله عليه وسلم: " **فليبلغ الشاهد الغائب** ". جمع بين الضدين الشاهد والغائب. وهنا يكمن الدور الحجاجي للطباق ليس بكونه محسن بديعي، بل لان في ذلك استدعاء لمزيد تركيز من المتلقي حتى يفهم المعنى المراد ويتبين المقصود.

2- المقابلة: أكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإن جاوز الطباق ضدين كان مقابلة. ومن وظائف المقابلة أنها تمد المتلقي باحتمالات الخطاب، حتى يتبيّنها جميعا، ويميز بينها ثم يختار ما يوافق قناعته. ومن ذلك في الخطبة قوله صلى الله عليه وسلم: "**من يهد الله فلا مظل له، ومن يضلل فلا هادي له** ". وقوله أيضا: " **إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق** ".

3- السجع: عرف في المثل السائر بأنه:" تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد "[1].وقد انف صلى الله عليه وسلم أن يلتزمه في خطبه، لان السجع في الجاهلية كان يستخدمه الكهان، وما جاء منه في هذه الخطبة إنما ورد عفو الخاطر دون تكلف أو قصد لذاته[2]، وذلك في قوله صلى الله عليه وسلم**:" إلا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ".**

ومن الأساليب التي تضمنتها خطبة حجة الوداع، ولو بشكل غير جلي، أسلوب الحوار الذي يعد أكثر الركائز الأساسية التي يقوم عليها الحجاج، ونمثل له في الخطبة بقوله صلى الله عليه وسلم: **ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد. قالوا: نعم. قال فليبلغ الشاهد الغائب**".

من خلال هذه الأمثلة نستنتج أن الحجاج لا مفر له من البلاغة، ولا سبيل إلى الإقناع دون الإثارة، فكل هذه الآليات ساعدت في تأسيس الحجاج وأدت إلى الإقناع في خطبة حجة الوداع للرسول صلى الله عليه وسلم

1- ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص 211. المرجع مأخوذ من: عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 157.

2- عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية. ص 157.

المبحث الثالث: الآليات شبه المنطقية:

آليات شبه المنطقية تتمثّل في الصيغ الصرفية والسلّم الحجاجي كما قد سبق ذكره.

السلم الحجاجي في خطبة حجة : إذا نظرنا إلى كلّ خطبة حجة الوداع كوحدة خطابية كاملة، فالسلّم الحجاجي فيه يظهر بوضوح تامّ. فالنبيّ صلى الله عليه وسلم يبدأ خطبته بحمد الله واستغفاره والتوبة إليه والاستعاذة من شرور النفس وسيئات العمل. بعد ذلك يدخل في صلب الموضوع من أحكام وقواعد إسلامية تمثلت في كل ما جاء في مضمون الخطبة. فنجده في كل قول من أقواله يسرد الحجج متتالية ثم يذكر النتيجة. وتكون هذه الأخيرة في بعض الحالات واضحة في قوله صلى الله عليه وسلم وأحيانا مضمرة تفهم من سياق الكلام.

نكتفي بذكر نماذج من السلالم الحجاجية في خطبته صلى الله عليه وسلم منها:

- **النموذج الأول:**

قوله صلى الله عليه وسلم : " **وإن ربا الجاهلية موضوع, وإن أول ربا أبدا به ربا عمي العباس بن عبد المطلب. وإن دماء الجاهلية موضوعة, وإن أول دم أبدا به هو دم عامر ين ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب** ". فقد ارتأى صلى الله عليه وسلم بدأ التحريم بالأولى*, وهو ربا ودماء آل البيت حتى يكون ذلك ادعى للاقتناع والتسليم[1].

الحجة1: "إن ربا الجاهلية موضوع".

الحجة2: "وإن أول ربا أبدا به ربا عمي العباس بن عبد المطلب".

1_ عبد الجليل الشعراوي: الحجاج في الخطابة النبوية، ص 143.

* القياس على الأول : من أنواع القياس.

النتيجة: إسقاط حق المطالبة بالربا والأخذ بالثأر ابتداءً بالأقارب، لان القرابة أمكن في النفوس. ذكر رسول الله صلى الله عليه سلم في قوله هذا عدة حجج لنتيجة واحدة مضمرة تفهم من سياق الكلام، مفادها إسقاط حق المطالبة بالربا والأخذ بالثأر بدءا بالأقارب.

(ن) إسقاط الربا

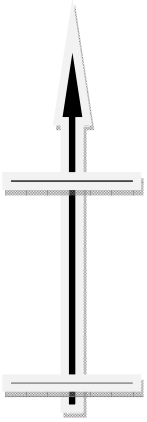

ح2 أول ربا ربا عمي العباس بن عبد المطلب.

ح1 ربا الجاهلية موضوع.

وفي قوله عليه الصلاة والسلام: (.. وإن دماء الجاهلية موضوعة، وإنَّ أوَّل دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وإن مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية) نجد:

الحجة 1: إن دماء الجاهلية موضوعة

الحجة 2: وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة ..

الحجة 3: كل مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية.

النتيجة: إسقاط الأخذ بالثأر.

بين عليه الصلاة والسلام إسقاط حق المطالبة بالثأر وبدأ بأقاربه لتكون حجته قوية.

وكذلك توظيف الأدوات (كل ، غير) فقد عمم عليه الصلاة والسلام كل مآثر الجاهلية واستثنى منها السدانة السقاية. ونمثل لهذه الحجج داخل السلم الحجاجي كما يلي :

ن: إسقاط حق الأخذ بالثأر

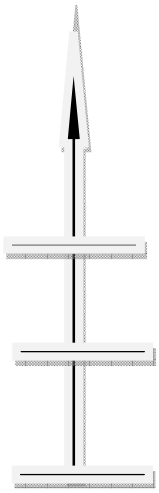

ح3 كل مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية

ح2 أول دم دم الأقارب

ح1 دم الجاهلية موضوع

داخل السلم الحجاجي ترتيب الحجج إبتداءا من أضعف الحجة ا إلى أقوى حجة.

النموذج الثاني:

ح 1: " إن لنسائكم عليكم حقا ".

ح 2: " ولكم عليهن حق، لكم عليهن إلا يوطئن فرشكم غيركم ".

ح 3: " ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ".

ن: " فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح ". أي نتيجة عدم طاعة المرأة لزوجها العقاب والتوبيخ والضرب المبْرَحْ.

ونمثل لهذه الحجج داخل السلم الحجاجي كما يلي:

ن: العقاب

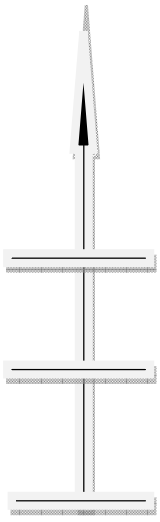

ح:3 إدخال من يكرهه الزوج بغير إذنه.

ح:2 وطء الفراش غير الزوج

ح:1 حق المرأة على الرجل

فثلاثة حجج، كلّها مبتدئة بروابط حجاجية(إن. و. و)، تؤدّي إلى النتيجة.

النموذج الثالث:

ح1: " إن ربكم واحد ".

ح2: " وإن أباكم لواحد "

ح3:" كلكم لآدم و آدم من تراب ".

ن: المفاضلة بالتقوى.

ونمثلها داخل السلم الحجاجي كما يلي :

بدأ عليه الصلاة والسلام محاجته ببيان اختلاف الأجناس والأعراق، ثم انتقل الى الأصل الخلقي الواحد (البشر خلقٌ من تراب وآدم من تراب)، ثم ليزيد في قوة حجاجه ذكر الخالق الواحد (الرب الواحد).

فأنواع مختلفة من سلالم حجاجية قد استعملها النبيّ صلى الله عليه وسلم في الخطبة لكلّ موضوع يطرحه، فلا يدع مجالا دون الحجّة والبرهان، فيظهر أثر كلّ هذه المحاولات الحجاجية في العمل السلوكي للمخاطبين بإتباع تعاليم الدين الحنيف، والعمل على ما جاء به في خطبته صلى الله عليه وسلم .

خاتمة

لقد تناولت خطبة حجة الوداع بالدراسة بناءً على النظرية الحجاجية التي ترمي إلى رصد جمالية التعابير الحجية التي استعملها النبي صلى الله عليه وسلم في فهذه الخطبة الخالدة والعصماء، وقد اهتديت بعد البحث إلى نتائج أهمّها:

- الحجاج عنوان كبير لممارسات فكرية نشيطة، فهو من أهم أنواع الخطاب تتدرج تحته أجناس عدة باعتبار وجود عناصر مهمة، والعمل الحجاجي هو الذي استوفى كل الشروط المؤدية إلى الإقناع من خلال الوسائل المنطقية والأساليب اللغوية.
- استخدم رسول الله صلى الله عليه وسلم في خطبته كلّ التقنيات الحجاجية في خطبته. فجاءت مليئة بالحجج والأدلة وبأشكال فنية متباينة.
- تعددت الآليات اللغوية من تكرار وتوكيد، وتوظيف للأفعال الكلامية من (الأمر، النهي، الاستفهام، النداء والشرط) قصد الإفهام ولفت الانتباه. والدور الحجاجي لهذه الأفعال سواء كانت انجازية أو خبرية في كونها توجه القول حجاجيا.
- تنوع الآليات الحجاجية في خطبة حجة الوداع بين ما هو بلاغي (استعارة تشبيه، كناية) و بين ما هو لغوي (التكرار، التوكيد، الأفعال الكلامية)، بين ما هو شبه منطقي (السلالم الحجاجية) كل هذه الآليات تكسب طاقة حجاجية عالية فتؤدي إلى التأثير كالإقناع.
- استخدام الرسول صلى الله عليه وسلم للبديع (الطباق ،المقابلة، السجع) في خطبة حجة الوداع لما له من الأثر التداولي في الخطاب في عملية إقناع المتلقي.
- اعتمد الرسول الكريم على الروابط الحجاجية من أجل توجيه خطابه واستعمل السلم الحجاجي (التدرج في الحجج من القوية إلى الضعيفة) من أجل التأثير في المتلقي.

كما نلحظ في الخطبة التوظيف المكثف لأسلوب التوكيد. وهذا يعود إلى طبيعة الخطاب والهدف منه هو بيان أمور الدين، وتثبيتها.

ملحـــق

نص الخطبة : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم1:

الحمد لله نحمده ونستعينه، ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل الله فلا هادي له.

واشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، واشهد أن محمدا عبده ورسوله، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وأحثكم على طاعته، واستفتح بالتي هي أحسن.

أما بعد: أيها الناس اسمعوا مني أبين لكم، فاني لا ادري، لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا، في موقفي هذا أيها الناس: إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم أن تلقوا ربكم. كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا.

ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد !

فمن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها، وان ربا الجاهلية موضوع[2]، وإن أول ربا نبدأ به ربا عمي العباس بن عبد المطلب، وان دماء الجاهلية موضوعه،وإن أول دم نبدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. وإن مآثر الجاهلية موضوعة[3]، غير السدانة والسقاية[4] والعمد قود وشبه العمد: ما قتل بالعصا والحجر وفيه مئة بعير، فمن زاد فهو من أهل الجاهلية.

أيها الناس: إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه قد رضي أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من أعمالكم.

1- نص الخطبة من: الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1985، ج2 ،م1، ص 31-33.

2- يقال : وضعت عنه الدين والجزية ونحوهما، إذا أسقطه.

3- موضوعة: ساقطة، وباطلة.

4- السدانة: خدمة الكعبة، وهي بفتح السين وكسرها، وكانت السدانة واللواء لبني عبد الدار في الجاهلية، فأقرها الرسول (ص) لهم في الاسلام. والسقاية : ما كانت قريش تسقيه الحجاج من الزبيب المنبوذ في الماء.

أيها الناس: إن النسيء[1] زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا[2] عده ما حرم الله، فيحلوا ما حرم الله. إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق الله السموات والأرض. وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والأرض، منها أربعة حرم: ثلاثة متواليات، وواحد فرد: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب الذي بين جمادى وشعبان.

ألا هل بلغت اللهم فاشهد !

أيها الناس: إن لنسائكم عليكم حقا، ولكم عليهن حق، لكم عليهن إلا يوطئن فرشكم غيركم، ولا يدخلن أحدا تكرهونه بيوتكم إلا بإذنكم ولا يأتين بفاحشة مبينة، فان فعلن فان الله قد أذن لكم أن تعضلوهن[3] وتهجرهن في المضاجع، وتضربوهن ضربا غير مبرح، فإن انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف. وإنما النساء عندكم عوان[4] لا يملكن لأنفسهن شيئا، أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، فاتقوا الله في النساء، واستوصوا بهن خيرا.

أيها الناس: إنما المؤمنون إخوة، ولا يحل لامرئ مسلم مال أخيه إلا عن طيب نفس منه. ألا هل بلغت اللهم فاشهد !

فلا ترجعن بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإني تركت فيكم ما إن أخذتم به لم تضلوا بعده: كتاب الله. إلا هل بلغت اللهم فأشهد !

1- النسيء: التأخير، تقول: نسأت الشيء فهو منسوء: إذا أخرته.

2- ليواطؤا: ليوافقوا.

3- أن تعضلوهن: أن تضيقوا عليهن.

4- العواني والعانيات: جمع عانية (والمذكر: العاني، وجمعه: العناة)، وهي الأسيرة. أي هن عندكم بمنزلة الأسرى.

أيها الناس إن ربكم واحد، وان أباكم، واحد كلكم لأدم وادم من تراب. أكرمكم عند الله اتقاكم، إن الله عليم خبير، وليس لعربي على أعجمي فضل إلا بالتقوى. إلا هل بلغت اللهم فأشهد !

قالوا: نعم . قال: فليبلغ الشاهد الغائب.

أيها الناس: إن الله قسم لكل وارث نصيبه من الميراث، فلا تجوز لوارث وصية، ولا تجوز وصية في أكثر من الثلث. والولد للفراش، وللعاهر الحجر[1]. من ادعى إلى غير أبيه، أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. لا يقبل منه صرف ولا عدل. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

1- وللعاهر الحجر: أي للعاهر الخيبة والحرمان (نسبة الولد لها أي يحجر عليه النسبة لأبٍ). وقيل: للعاهر الرجم.

قائمـــة

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.**

المصادر والمراجع:

1. الفيروزآبادي: قاموس المحيط، مؤسسة الرسالة للنشر والتوزيع، ج1. تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف مجد نعيم العرقسوسي. مؤسسة الرسالة، ط 8، 1426،2005.

2. **إبراهيم مصطفى**: المعجم الوسيط، دار الدعوى اسطنبول، الطبعة 2، 1986، الجزء1.

3. **ابن رشيق(أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي)**: العمدة في محاسن الشعر وآدابه, تحقيق محمد محي الدين عبد المجيد، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط 5، 1981م.

4. **ابن عاشور محمد الطاهر**: التحرير والتنوير، ط1، الدار التونسية للنشر، الدار الجماهرية للنشر والتوزيع والإعلان, تونس 1984

5. ابن فارس: مقاييس اللغة ، تحقيق عبد السلام هارون، ط1، بيت الحكمة، 2009.

6. **ابن منظور(أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري)**: لسان العرب، دار الصادر، بيروت، مجلد 2.

7. **أبو الوليد الباجي**: المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق: عبد المجيد التركي، الطبعة2، دار المغرب الإسلامي، المغرب، 1987م.

أبو بكر العزَّاوي: اللغة والحجاج. منتديات سور الأزبكية، الدار البيضاء، ط1 2006.

8. **أبو هلال العسكري**: الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق مفيدة قميحة، دار الكتب العلمية. بيروت، الطبعة2، 1989م

9. الأزهري: تهذيب اللغة، ت يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية، الدار النموذجية، بيروت، ط 5، 1999م، ج 7.

10. **الزمخشري (** جارا الله أبي القاسم محمود عمر**)** أساس البلاغة، دار صادر، بيروت.

11. **الجاحظ (أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم)**: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة 1985، ج2

12. **أرسطو طاليس**: الخطابة، الترجمة العربية القيمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت,دار القلم، بيروت، لبنان,1979م.

13. **حمو النقاري**: التحاجج طبيعته ومجالاته، ووظائفه، وضوابطه، ط1، النجاح الجديد، الدراسات البيضاء، 1427ه، 2006.

14. **الخطيب القزويني:** الإيضاح في علوم البلاغة، اعتنى به محمد الفاضلي، دار أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع, ط1, 2007

15. **صابر الحباشة** : التداولية والحجاج مداخل ونصوص، صفحات للدراسات والنشر، 2008.

16. **طه عبد الرحمن**:

- اللسان والميزان، التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء ,المغرب.
- مراتب الحجاج وقياس التمثيل, مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

17. **عبد الجليل الشعراوي**: الحجاج في الخطابة النبوية، عالم الكتب الحديث اربد، الأردن، ط1، 2012.

18. **عبد الله صولة** :

- الحجاج أطره ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية لحمادي الصمود.
- الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت لبنان, دار المعرفة للنشر، تونس، الطبعة 1، 2001، الطبعة2، 2007.
- في نظرية الحجاج، دراسات وتطبيقات، مسكيلياني للنشر والتوزيع 41 شارع لافايات تونس، ط1،2011.

19. **شوقي ضيف** : الفن ومذاهبه في النثر العربي, القاهرة دار المعارف، ط 10 ،1983م

20. **عبد الهادي بن ظافر الشهري**: استراتيجيات الخطاب ,مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط 1، 2004.

21. **فيليب بروتون، جيل جوتييه**: تاريخ نظريات الحجاج، ترجمة: محمد صالح ناجي الغامدي, مركز النشر العلمي، جامعة الملك عبد العزيز. المملكة العربية السعودية، الطبعة 1. 2011.

22. **محمد السالم محمد الأمين**: مفهوم الحجاج عند لبرلمان وتطوره في البلاغة المعاصرة. عالم الفكر، الكويت، مجلد28، العدد 3، يناير، مارس 2000م.

23. **محمد العيد:** النص والخطاب والاتصال، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعية, القاهرة، الطبعة1، 2005

24. **محمد محي الدين عبد المجيد**: الإيضاح في علوم البلاغة: لجنة من الأزهر، القاهرة

25. **مؤيد آل صونيت**: تقنيات الحجاج في نهج البلاغة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية.

26. **هاشم صالح مناع**: خطبة النبي (ص) في حجة الوداع، دراسة تحليلية، دار الفكر العربي، بيروت، ط1، .1989

2. **المجلات و الدوريات والرسائل الجامعية:**

1- جليل رشيد فالح:

- خطبة حجة الوداع دراسة تحليلية بلاغية، مجلة آداب الرافدين،العدد 13، 2007.

2- **بن أحمد عالم فايزة** :

- علاقة الحجاج بالخطابة والجدل، جامعة مستغانم، 14نيسان\ أبريل2013.

3- **بوصلاح فايزة**:

- الإقناع في قصة إبراهيم عليه السلام، مقاربة تداولية،جامعة وهران،2009/ 2010.

4- جمعان عبد الكريم الغامدي:

- الحجاج في الخطبة النبوية،العدد العاشر، 2013م، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة الباحة.

5- **خديجة بوخشة**: حجاجية

- الحكمة في الشعر الجزائري الحديث، أطروحة دكتوراه في اللسانيات التداولية، إشراف: د بن عيسى عبد الحليم، جامعة وهران, 2013 /2014.

6- **طاهر طويائي, مرضية آباد**:

- بلاغة الحجاج في خطبة الغدير, مجلة اللغة العربية وآدابها، السنة 11، العدد2،1436ه. صفحة(255-279) قسم اللغة العربية بجامعة فردوسي, مشهد.

المراجع الأجنبية:

1- Le petit Robert : Dictionnaire de la langue .Français,[1er]rédaction, Paris. 1999

الفهرس	الصفحة
شكر وعرفان	
مقدمة	أ
مدخل	10
الفصل الأول: الحجاج و تقنياته	
• الحجاج بين الخطابة والجدل	18
• منطلقات الحجاج	23
• ضوابط التداول الحجاجي	24
• تقنيات الحجاج	26
1. تقنيات الوصل	26
أ. طريقة المحاجة شبه منطقية	26
ب. الحجج المؤسسة على بنية الواقع	28
ت. الحجج المؤسسة لبنية الواقع	28
2. تقنيات الفصل	30
أ. الأدوات اللغوية	31
ب. الآليات البلاغية	33
ج. الآليات شبه المنطقية	33
الفصل الثاني: الحجاج في خطبة حجة الوداع	
تمهيد	37
آليات الحجاج في خطبة حجة الوداع	39
1) الأدوات اللغوية	39
أ. التكرار	39
ب. التوكيد	41
ت. الأفعال اللغوية	42
- فعلا الأمر و النهي	42
- فعل الاستفهام	44
- فعل النداء	44

- فعل الشرط	45
2) الوسائل البلاغية	46
أ. تقسيم الكل إلى أجزائه (التفريع)	46
ب. الاستعارة	47
ت. التشبيه	47
ث. البديع	48
- الطباق	48
- المقابلة	49
- السجع	49
3) الآليات شبه المنطقية	50
خاتمة	56
ملحق	58
قائمة المصادر والمراجع	62

ملخص:

يتناول البحث آليات الحِجاجِ في خُطبةِ النبي صلى الله عليه وسلم في حَجَّةِ الوداع. وينطلق من كون الحجاج ممارسةً منبثقةً عن البلاغة، له آلياتُه التي طبَّقْناها على خطبة حجة الوداع، لكونها خطبةً شفهية لها خصوصيتُها من جهة الحدث والمقام الزماني والمكاني، ثم المتكلم واللغة. وقد درس البحثُ آلياتِ الحجاجِ في الخُطبةِ من خلال مباحث: أولُها الأدوات اللغوية، وقد عنينا فيه التكرار، التوكيد والأفعال اللغوية ومن هذه الأدوات يستمد قوته الاقناعية. أما المبحث الثاني درس الآليات البلاغية ودورها الاقناعي تمثلت في الصور البيانية والمحسنات اللفظية. وفي الأخير تناول البحث آليات الإقناع شبه المنطقية متمثلة في السلم الحجاجي، تلي كلَّ ذلك الخاتمةُ، وفيها تسجيل لمجموعة النتائج التي توصل البحث إليها.

الكلمات المفتاحية: الحجاج – الخطبة- الآليات الحجاجية

Résumé :

Cet article traite des mécanismes de pèlerins dans un sermon du Prophète, paix soit sur lui pendant le pèlerinage d'adieu. Et provient du fait que les pèlerins pratiquent découlant de la rhétorique, ses mécanismes que nous avons mis en œuvre un sermon d'adieu, étant un sermon verbal a été un événement particulièrement important d'une part et placer le temps et l'espace, puis le haut-parleur et de la langue. Trouver pèlerins mécanismes dans le sermon a été étudié par sujets: d'abord, des outils linguistiques, Nous avions la répétition, l'accent et les actes linguistiques et ces outils tire persuasive. La deuxième section a étudié les mécanismes rhétoriques et le rôle de persuasion représenté dans les images graphiques et de valorisation verbales. Dans les dernières recherches traitées avec des mécanismes de persuasion semi-logique représentés dans l'echelle argumentative. Après tout de cette conclusion, et l'enregistrement du groupe les résultats de la recherche.

Les Mots clé : Argumentation - Oratoire – Méthodes de argumentation

Abstract :

This paper deals with the mechanisms of pilgrims in a sermon the Prophet, peace be upon him during the Farewell Pilgrimage. And stems from the fact that pilgrims practice stemming from the rhetoric, his mechanisms we have implemented a sermon Farewell, being a verbal sermon was an especially important event on the one hand and place the temporal and spatial, then the speaker and language. Find pilgrims mechanisms in the sermon has been studied through topics: First, language tools, Nina was the repetition, emphasis and linguistic acts and these tools derives persuasive. The second section studied the rhetorical mechanisms and the role of persuasive represented in graphical images and verbal upgrades. In the latest research dealt with mechanisms of persuasion semi-logical represented in argumentative Scale. After all of this conclusion, and the recording of the group the findings of the research.

Key words: Pilgrims - Ktabh- orbital mechanisms.